علي أحمد باكثير

# همام

## في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية



# هــمّـام

## فى بلاد الأحقاف

# همّــام

## فى بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

نظم

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

# مُقَدمَة المـؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحيـاة الاجتماعيـة بحضرموت ، وكتبتها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكـان لهـا صداهـا في الأوسـاط الحضرمية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمـد الصبـان مقترحـا إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرمية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارهـا وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حيـاة المجتمع الحضرمـي ، فرافقتـه على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًـا لـه التوفيـق فيمـا يتوخـاه مـن خدمة أمتنا العربية .

المؤلـف
علـي أحمـد باكثير

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥
القاهـــرة
٣ أغســطس ١٩٦٥

# تصديـــــر
## بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة
## حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدرامة الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلبا خفاقًا ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المترامية الأكناف ، ولهذه الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه قبساً من نور بهيّ .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ، ولهذا تجدّدت فيه الروح الناهضة ، التي أوحت إليه بهذه الدرامة .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائرا على حالة وطنه الراهنة ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحًا تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تتزعم الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدرامة صورا لها ساخرة منها هذه الأبيات :

وليٌّ الله ذو الجبـــــــو ة والأرديـــــة الخضـــــرِ
وذو المســـواك في العمـــة قــد أربـــى علــى الشـــبرِ
ورب الســـبحة الغـــارق في التســـبيح والذكـــــر
بهــــــا يذكـــر في النـــاس ولا يذكـــر في الســـرِّ

يرجع ناظم هـذه الدرامـة جهـل شعبه إلى جهـل المـرأة ، فهـو يريدهـا متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكانتهن من شعوبهن ، فنهضن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته ( الشاعر المصلح ) الذي جعله المؤلف شابًا مجددا يسخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم على عقول الشعب ، ويحاول جهد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فلا يلاقي إلا عنتا ، ولا يوصف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشعب عن طريق المرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :

صاحبات الزمان نحنُ .... حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزّع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ، ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صورًا من الحياة الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف — بالرغم من هذه الثورة المضطرمة في نفسه — لم يزل يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بألفاظ قريبة إلى روح الشعب ، فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سخط الساخطين وحنقهم . وله الحق في ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما خُتمت به لكان ذلك أشد وقعًا وأجلّ أثرًا ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويبث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ — ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

# الإهـــــــــداء

إلى مصدر الوحي الأول !

إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى إليّ !

وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

## هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،

وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

# تمهـــــيد

| | | |
|---|---|---|
| مكان الرواية | : | مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل |
| زمن الرواية | : | العصر الحاضر |
| أشخاص الرواية | : | |

| | | |
|---|---|---|
| همــــــام | ـ | بطل الرواية |
| حُســــــن | ـ | حبيبة همام |
| محمـــــــد | ـ | صديق همام ونصيره في المبدأ |
| علويـــــــة | ـ | نصيرة وحبيبة محمد |
| زهـــــراء | ـ | أخت همام |
| خديجـــــة | ـ | أم حُسن |
| شــــهاب | ـ | عم حُسن ووكيل أبيها |
| ولـــي الله | ـ | خرافي دجال يتجر بدينه |
| ســـــالم | ـ | صديق محمد |
| الأمـير أمجـد | ـ | أمير البلاد |
| بكــــــر | ـ | غني يطلب يد حُسن |

| | |
|---|---|
| أحمد | جماعة من الأدباء |
| عقيل | |
| ابن عيسى | |
| عبد الله المغني | |
| عامر | — بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل |
| ناهية | أخوات عامر البدوي |
| سعدى | |
| لبنى | |

نكرات مسرحية — رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات

# الفصـــل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزائن مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمددًا واهي الأركان ، يئن أنينًا خفيًا يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل » :

## المشهـــــد الأول

زهراء : أخي ما بـك اليـومَ ؟ إنـي أرا ك قليـلَ النشـاطِ كثـير الضجـرْ
أأنـت مريـضٌ وُقيـت الشُّـرو ر ، وبلغـك الله طـولَ العُمُـر

هُمـام : أى إنَّ بـي مرضـاً في الفـؤا د يـا زَهْـرُ يُنذِرنـي بـالخطر
ولا تجهلـين مـاذا بصِنـو كِ مما بـدا منـه أو مـا استتر
فماذا وراءكِ ؟ هل من جديـ ـد يخفّف من وجديَ المستعِر ؟

زهراء : أخي لا تَخفْ في الهوى أن تخيـ ـبَ؛ وهل يجهلُ الناسُ فضلَ القمر؟
ولا تجعلـنَّ ليـأسِ إليـكَ سبيلا ففـي اليأس فـوتُ الوطـر
أييـأسُ مثلـكَ وهـو الرَّجيـح في الكِفَـفِ الشّـائلاتِ الأُخَـر؟
فـأحرى بغـيرك أن يسـتريحَ إلى اليـأس . لا بـدَّ أن تنتصِـر
كـأنّي بحُسْـنٍ تُـزَفُّ إليـكَ عروسـاً تلـمُّ ذيـولَ الخفـر
تُحيـط بهـا الغانيـاتُ الحسـا نُ كالبـدرِ بين النجـوم الزهـرْ

كـأنيّ بأبياتِنـا قـد غـدتْ تُصفَّـق بـالفرَح المزدهِـر
وأنتَ عـروسٌ تُحيِّي الوفـو دَ وتخطُـر بين صفـوف الزُّمَـر

هُمـام : أزهـراء لا عَدِمَتْـكِ الديـا رُ ، حديثُك يقشع عني الكـدر
لأنـتِ العـزاء إذا مـا أتيـتِ وأنـتِ الهنـاء وأنـتِ الحبَر(١)
فأيـن الكتابُ ؟ أما تقرئـينَ ؟

زهراء : بلى ! ذا الكتاب معي قـد حضر
كتـاب كريـمٌ خليـق بـه بـأن يكتبـوه بنـور البَصَـرْ
«بلوغ المرام» و«سُبْل السـلا م » عليه تُحَجَّـل منه الغُـرَرْ
أحـاديثُ طـه وآيُ الكتـا ب تلألُؤ فيهـا خِـلالَ السَّطر
وأقوال مُجتهدي الصحب والأئمّـ ـةِ مـن كـل حِـبْرٍ أبـر
فيأخذُ منهـا الفتـى مـا صفـا ويـترك منهـا الفتـى مـا كـدَرْ
ومَنْ لاذَ مِن بعدهـا بالهـوى فإن الجحـيمَ هـي المستَقَـرْ

**« يتبسم همام إعجابًا بهذه الـروح الإصلاحيـة الـتي وفـق لبدرها في نفس أختـه . وتعـرف هـي أن في مثـل هـذا الحديـث تسلية له وتهدئة لأفكاره المضطربة فتطّرد في حديثها »** :

فـلا سَـلِمت كتُـب الجـامدينَ ولا فـاز قارئهـا بـالوطر
صَحـائفُ لا روحَ فيهـا ولا يَجـول بهـا ذكـرُ خـير البَشـر
يُصـوِّر فبهـا مُحـالُ الأمـو رِ ، ويُـترك فيها مُهِـمُّ الصُّـور !
فتلـك الجواهـر أيـن الرّمـا لُ منها وأين خسيس الحجـر ؟

---

(١) الحبر : السرور

**« يستولى على همام الانبساط ويأمر أخته بالقراءة فتقرأ فصلاً من الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »**

صار فرضًا عليك أن تنشُرى هـــ ـــذا الهدى فى جماعة النسوان
فهُدى الشّعبِ من هدى أُمّهـــ ـات الشعب فى كل موطن وزمان
وبناتُ الأحقافِ أولى بأن يحذِقـــ ـــن شتّى العلوم والعرفان
وبأن يَطْهرنَ من لَوَ ثِ الأوهام مما يخلّ بالإيمان
فيرين الحياةَ من غير معنىً غير تلك الحياة وهى معانى !

زهراء : لِتَطب يا همامُ نفسًا فما تر جو سأسْعى فيه بغيرتوان
ولقد سرَّنى استماعُ صديقا تى لقولى وقْدرهُن مكانى

هُمام : بارك اللّه فى الصِّغار ففيهنّ قَبولٌ للحق إمّا دُعينا
إنّما الشّرُّ فى العجائز يجمُد نَّ جُمود الحصى فلايهتدينا !

زهراء : نحن بالأمس ثُلةٌ ضمنا مجلسُ عُرس فى بيت جار أبينا
ولدينا شريفةُ جمعَتْ حُسنًا ولطفًا جمًّا وعقلاً رصينا
سمِعَتْنى ـ ولستُ أعرفها ـ أُلـ ـقى على الحاضرات درسًا مبينا
سُقْتُ من أخبار الشهيرات فى الإسلام ما ردّهن لى يُصغينا
شاقهن الحديث عن سيّداتٍ فقْن بعضَ الرجال علما ودينا
ثم حرّضتهُن أن يتشبّهن بتلك الشموس أو يقتدينا
قلتُ ليس الرجالُ أولى بكســ ـــب العلم منا فإننا مُستوونا
ومن العلم ما يُعرّفنا الدين ومنه ما سدّ فإننا مُستوونا
وأهم الأمور تربيةُ الأو لاد كى ينشأوا من العاملينا
صاحباتُ الزمان نحن ! حياة الـ ـناس فيه والموتُ فى أيدينا !
إن نشأ فالورى بنا سُعداء وشقاءٌ حياتهم إن شينا

فعلينـــا لربنـــا واجبـــاتٌ ليـس نـبرا مـــن إثمهـــا مـــا بقينـــا
كيـف نسـتطيعُ بالجهالـةِ يومـا أن نـؤدي أمانـــة ا الله فينـــا ؟
صِحْنَ في أسمـاع الرجـال : أليـــ ـــس العلم فرضًا على النساء مبينا؟
فيم غـادرتُم البنات على جهـل وقمتـــم تعلّمـــون البنينـــا ؟
هـــل أقمتـــم مدارسًـــا للواتـــي إذ أقمتـــم مدارسًـــا للذينـــا ؟

* * *

فتدنـــت تلـك الشَّـريفة مـــني وحَبَتْــني مـــن الثنـــاء فنونـــا
ثـم قـالت : عمّـن تلقَيـتِ هـذا ؟ قلـت عـن صِنْويَ الـذي تعرفينـا
عن همـامِ . قـالت همـام أضحـى بحُسْـنِ بـين الـورى مفتونـــا ؟
والـذي يذكـرون عنـه ابتداعًـــا بئس هـذا الـورى ومـا يَفترونـا !
إنني قد أنسـتُ مـن قولـك السّا لـــفِ روحًـــا فيّاضـــة ويقينـــا
فتسـاءلتُ مَـن يكونُ الـذي لقّـــ ـــنَ هــذي الهُـــدى تلقينـــا ؟
فذَكَـرْتِ امـــرءًا جُعلـــتُ فِـدا هُ دونَ مـا عابَـهُ بـه الجاهلونـا !
ليتنـي أسـتطيع أن أتلقّـى عنـــ ـــه شيئًا ! أنّـي لِـذا أن يكونـا
قُلـت : نفسـي فـداكِ يـا ابنـة طـه أنتـــم آلُ بيتـــه الأكرمونـــا
ليس بِدعًـا أن تنصـروا سنـــ ـــةَ الهـادي بنصرهـــا قمِنونـــا
إنما البـدعُ أن يكـون بنـو المخــ ـــتار عـن هديه مـن الناكبينـا !
غير أن مـا رأيـتُ مثلـكِ في نســـ ـــوة «سَبْوُونَ» تعشقُ المصلحينـا
إن سرًّا في الأمـر يَحْسـنُ لـو أد ريـه ، قـالت يَسـرُّني أن يَبينـا
نحن من بيت سادةٍ يكرهُ الدجْـــ ـــل ويأبـــى من الأمـــور الدُّونا

جدُّنـــا الأكـــبر الشريف « عقيـــل »
ســـنَّ نهـــج الهـــدى لنا ما حيينـــا
عنـــدنا من آثـــاره « سيفهُ المســلُو
ل » يَفْـــري أوهامهـــم والظنونـــا

* * *

بلعـــى عـــني الســلام همامًـــا ورجـــائي إيـــاه في الناجحينـــا
وغـدًا نلتقي ويحرســك الرحمــــنُ قلت الرحمن يبقيـك فينـا
همـام : بـارك الله فيـك ! هـذى فتـاة من سَليل الأفـاضل الأطهرينـا
جدُّهـا كـان في الحجـاز منـارًا للمعـــالي يَؤمُّـــه الطالبونـــا
ذبَّ عـــن ســـنَّةِ النـــبي ولاقـــى مـــن بـــني قومـــه أذًى وفنونـــا
رَبِّ آمنـتُ بالوزراتـــهِ ! أنـتّ الله أرســلتها لنـــا قانونـــا
هـذه روح جدِّهـا ، ربِّ وفّقــــهـا وآزر بســعيها النّاهضينـا
« يلتفت إلى زهراء مسائلا » :
ألديهـــا روجٌ ؟
زهراء : قضى زوجُها النحـــب صغيرًا لم يبلغ العشرينا !
وقضـى قبـل روجهـا أبواهـــا فهي ثكلى تَعيش عيشًا حزينـا
خَبرتني عنها سعيدة إذ كـانت قــد استُخْدِمتْ لديهـم سـنينا
همـام : مَـــن يليهـا إذن ؟
زهراء : شـــقيق أبيـــه عالهـا رغـــم كونـــه مســـكينا
همـام : ذكّرينـا لكـي نواسـيَه القَيْـــنة بعـــد الأخـــرى .
زهراء أصـبت قمـينا

همام : لم تَجدْ بعد زوجها خاطبًا ؟

زهراء : لا .

همام : أو ليست حُسْنا كما تذكرينا ؟

زهراء : بل هي الحُسن كلّه ـ عَلِمَ اللهُ ـ متاع الرائين والسامعينا !

همام : غير أن الشَّبابَ في هذه الأنحـ ـاء بالحسن ليس يَحْتفلونا

إنما ينظرون للمالِ فالما ل هو الزوجةُ التي يخطبونا

ويَرَوْنَ الكمالَ في ذات أمٍ لا يُرَى زوجُ بنتها مغبونا

تتوخى رِضاهُ في كل حين فتريه من الطعام فنونا

فكأن لم يكن لديهم من الحبِّ سوى ما يسدُّ منهم بطونا

## المشهد الثاني

**« في القاعة الكبرى للمدرسة حيث تقام الحفلة السنوية وقد حضر إليها الناس من كل الطبقات ليشاهدوا التلامذة ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .**

**التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطون بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .**

يا بني مدرستي إني لكم ناصحٌ يصفيكم النُصحَ أمين

لَبناتُ الشّعب أنتم فليكن كلُّها من ذلك الصّلب المتين

إنَّ برنامجَ تدريسِكُمْ ليس برنامج قومٍ مرتقين

تُرهِقون النشءَ بالحفظ فمِن    حفظ تقريرٍ إلى حفظِ متون
ليس في ذاكمْ لهم من صالحٍ    إنه يقتل فهمَ الناشئين
فدعوا الحشو وربّوا فيهم    ملكات الحذق في كل الفنون
استقوا التوحيدَ من ينبوعه    وانبذوا كتب الصفات الأربعين
لا تريد النفس إلا حيرةً    لا كأسلوب الكتاب المستبين
لم تؤلف لكم هاتيك ، بل    ألفوها لحِجَاج الملحدين
واقصدوا في الفقه لا يأخذكم    ليس في الفقه غذاء الناهضين !!

**« أحد الشيوخ يقوم ويحاول تسكيت همام ويصيح » :**

يا عبادَ اللّهِ ! هذا مارقٌ    يندب الناس إلى دينٍ جديد
أسكتوه أسكتوه ! إنه    يا عباد الله شيطان مريد

شيخ آخر : هذا وهابيٌّ !

ثالث : هذا معتزليٌّ !

رابع : سدُّوا فاه

خامس : لا تدعوه يغوي الناسَ !

سادس : هذا ما كنا نخشاه !

**« همام رافعاً صوته في شيء من الغضب » :**

أنا لا أصغي لتسكيت امرئ    أنا لا أخشى صياح الصائحين
خطبتي لا بدّ من إتمامها

شيخ متنور : أتمم الخطبة إنا سامعون

لا تُبل ؛ من رام أن يقطعها    فليقم إن شاء في المنصرفين

همام : أنــا لم أدْعُ إلى غــير الهُــدَى ... وإلى غــير نهُــوض المســلمين
أنقِمْتــم دعــوة النــاس إلى ... سُــنّة المختــار خــير المرســلين

**« ملتفتا إلى الشباب »**

اسمعونــي يــا شبابَ الحــي ، لا ... يُقصكــم عــني مقــالُ الجــامدين !
.. .. .. .. .. .. .. .. ... ليس في الفقــه غـذاء النـاهضين !
اقـرأ وافقَـه حديـثَ المصطفـى ... تعـبروا الشـكَّ إلى بـرد اليقـين
لا تهــابوا اليــومَ أن تجتهــدوا ... إن ســرَّ العلـم للمجتهديــن !!
وكتــاب اللهِ بــاقِ خــالدٌ ... تنجلـى آياتــه في كــلِّ حِــين
ادرســوه درس أحيـــاء ولا ... تدرســوه دَرْس قــوم ميّتــين
ادرســوه وفْــقَ نهج خَطّــه ... (مصلِح الإسلام[1]) ذو الفضل المبين
إنــه يشْــعِل في أنفســكم ... جـذوةَ الديـن وعِــزّ المؤمنــين
إنــه يبعــث في أرواحكــم ... قــوةً هائلــةً لا تســتكين
فَتَــح الدنيــا بهــا أســلافنا ... من ربَى الغرب إلى السور المكين
وأضعناهــا فهُنّــا بعــدها ... وغــدونا مُضْغــةً للآكلـين
ليست الأخلاق لِينًا في الخُطى ... وخضوعـًا هـو للنّفسِ مهـين
إنمــا الأخــلاق أن لا تُبطِنــوا ... غـير مــا للنّــاسِ أنتـم تظهـرون
إنمــا الأخــلاق أن لا تــتركوا ... نصـرةَ الحــقِّ للَــوم اللائمــين
رفــعَ الإســلام مــن أنفسِــكم ... فارفعوهــا عــن دعــاء المقْــبَرين
لا تذلُّــوا لسِــوَى الله ، ولا ... تخضعــوا إلا لــربّ العالمــين

---

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

للّـــهِ مـــا أفصَحـــه !

الآخر : والحقُّ ـ واللهِ ـ مَعَـه !

الأول : لكـــن هـــؤلاء لا يبغوننـــا أن نســـمَعه

الثاني : أقوالـــه مؤلمـــةٌ لهـــؤلاء موجعَـــه

الأول : لأنهـــا تقطـــعَ مـــا كـــان لهـم مـــن منفعـــه

همام : حَكموا الأنصاف فيما بينكم لا يكن قومٌ لقوم حاقرين

فالمســاواة علـى أعْدَلِهـا ميزة الإسلام عند الباحثين !

وأخــو الحــق إذا لم يُعْطَـهُ أخـذ الحـق انتهابًا باليمين

* * *

## المشهـــد الثالـــث

« بهو كبير ـ في دار أحد أدباء البلد ـ مفروش بالبسط الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانه برسوم فنية جميلة للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضر . جماعة من الأدباء في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدبين يشربون ويتحدثون. أمامهم عدة شاي مصقولة يخطف بريقها الأبصار يتولاها أحدهم . يدخل همام مسلمًا » .

همام : عمـوا مسـاءً يـا أصدقـائي

الحاضرون : مسِّـيت بالخيـر والهنـاءِ

أهــلاً وسهــلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى يـــذم فينـــا أبـــا العـــلاءِ
همام : في الديـــن أو في البيـــان ؟
أحمد : بـــل في كـــل الشـؤون علـــى الســـواء
همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بـــدَّ مـــن العـــدل في القضـــاء

« ملتفتًا إلى أحمد »

وأنـــتَ مـــاذا تقـــولُ فيـــه ؟

أحمد : إنـــــي أراهُ في الأتقيـــــاء
همام : كِلاكُمـــا قـــد غـــلا ، فهـــذا ذمَّ ، وذا لَـــجَّ في في الثنـــاء

بـــل هـــو في شـــعرهِ إمـــامٌ جَـــدَّد نهجًـــا للشـــعراء
لكنّـــه كـــان في ارتيـــابٍ مـــن ديـــن مـــولاه وامـــتِراء
فقـــال مـــا قـــال غـــيرَ خـــاشٍ ولا مُـــداجٍ ولا مُـــراءِ
ومُمكـــنٌ أنَّـــه حُظِـــي في أخـــرى لياليـــه بـــاهتداء
فرُبَّ شـــكٍ أفْضـــى بمـــولا ه ـ بعـد ما حـــار ـ للجـــلاء

« تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأسًا »

شـــرابُ الشـــاي خـــيرٌ لي مـــن الدنيـــا ومـــا فيهـــا !
إذا مـــا أقبلـــت كـــأسٌ كخـــزدٍ في تهاديهـــا
قـــولى الهـــم مـــن نفســـي ودانـــت لي أمانيهـــا !
عرفتُـــم مـــنْ هـــو القـــائلُ هـــذا الشِّـــعرَ في الشـــاي ؟
يـــرى في الشـــاي دنيـــاه فمـــا صِحّـــةُ ذا الـــراي ؟

عقيل ( أحد الأدباء ) :

لا تعجبنّ همـــامُ تلك حقيقـــةٌ كالشمـــس فيها الشاربـون سواءُ

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا    ما لم يكن شايٌ ولا ندماء ؟

همام : إنَّ في الشاي عزاءً    لصريع الهم والغمْ
لكئيب أو حزين    أو عميدٍ أو متيّم
حاز لُطفَ الخمر إلا    أنه غير محرّم ؟
من صفاء اللون في العين    وحُسنِ الذوق في الفم
هو مَسلاة أديبٍ    فيه من بلواه مَعْصَم
ورَسولٌ للتآخي    يجمع الناس وينظِم
غير أنّ القصدَ في الأشيا    ء منجاةٌ ومَغْنم
فغلَوْنا فيه حتى    صار فينا يتحكّم
وغدا وهو على القو    ت الضروري مُقَدّم !
وشربناه بلا وزنٍ    وتقدير مُنظّم
فلكَمْ يَسْلبنا الما    لَ وكم يُسقِمنا كم
ولكَمْ أنحى على بيتٍ    كريم فتهدّم
ولكم عائلةٍ جرّ    عها صابًا وعلقم
ولقد زاد بلاءً    أنه في قُطرنا عَمْ
فهو في القصر ، وفي البيـ    ـت ، وفي الكوخ المرمرم !!

عقيل — **ملتفتًا إلى «عبد الله» المغني :**

يا بلبل الأفراح والسُّرور    اصدَحْ بمُوْسيقاك في الحضور
غن لنا شعر ( أبي كثير )    في الشاي وانشُر ميت القبور !

**(يتهيأ المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :**

يا صاحب القلب الشقي بقومه    إرفق بهذا القلب لا يتحطمِ !

اخـــدم بلادك ما استطعـت وكل إلى
مـــولاك ما لم تستطعـــه وسلّـــمِ
ومن الجفـا أن لا تحـيي مثلمـــا حيّاك وجه العيـد مبتســمَ الفمِ
ذَرْ بعضَ همـــك واقض بعض حقوقــه
لا بـــــدَّ للمحـــزون من مُتَبسَّـــم !
واقــذف شياطينَ الهمـــوم بأكـــؤس
تنفـــضُّ من ( بُـــرَّاد ) شاي مُعلَـمِ[1]
مخضــرةٍ جنباتــه فــاعجب لــه من جنـة خضـراء فـوق جهنـمِ !
شاي يفـوز من احتسـاه بلثمــةٍ من كل خدٍ في الحسان ومبسمِ !
من ( باسلامةَ ) مثـل ذوب التـبر أوْ
من ( مشعبيّ ) مثل لـــون العنـــدمِ[2]
مثـل الطـلا في لونهـا وصفائهـا ونقيضهـا في رجسـها والمـــأثمِ
لا نقــصَ عنهـا فيــه إلا أنــه حُلــوُ المــذاق وأنــه لم يحـرُمِ
فاشربه متخذًا نديمَـك كـل ذي أدبٍ متـــى نادمتَــه لا تنـــدمِ

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أجـــدت

آخر : لقد رَوَّحــ ــتَ بـالصّوت أكبادًا وأرواحـا

همام : وقـد تفـرد بالإحسـان شــاعرُنا إذ ضمَّن الشعر توصيفًا وإصلاحا
وأنصِتوا لشاعـــر من شعرائكـم سَـــرِيْ
« الحامديّ » يصف الشاي بوصف عبقري !

---

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .
(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

روّق لها مـاء الغمـام وهاتهـا لي والحبـاب يجـول في جنباتهـا
صهباء ما عبثت بها يدُ عاصـر ما عاشـرَتْ إلا أكـفَّ سُقاتِهـا
من جيّـد الشـاي استحال عصـيرها
فغـدت تحاكي الشهـب في جاماتهـا
قـد راق منظرهـا ورق زجاجـها
فلِعلـةٍ لم يُدهقـوا كاساتهـا
لولا انتصـافُ الكاس خيّـل أنهـا
في كـف ساقيهـا تقـوم بذاتها !
وإذا الهموم على النديـم تكاثفـت
وبـدت أشعتها جلت ظلماتهـا !
حقّـا لدينـا نهضـةٌ أدبيّـةٌ لا تُنكـرُ
عَمَـرت نوادينـا ، بهـا يستبشـر المستبشـر
نشـطَ البيـانُ فشـاعرٌ يشـدو وآخـر ينـثر
هـذا لعمـري مُـؤذِنٌ بنهوضنـا ومبشّـر

( يتنهد )

لكـنَّ .. مَشْـيُ العِلـم في أحيائنـا متعـثّر !
جَمَد ( الفقيـه ) على متو ن بالشُّـروحِ تُفسَّـرُ
وكأنهـا التـنزيل أو هـي بالقداسـة أجـدرُ !!
ويرتّـل ( النّحـوي ) كُتـبَ خلافِـهِ ويقـرِّرُ
يمضـي عليـه عمـره لا يسـتطيع يُعَـبِّرُ !
أمـا ( الحديـث فـإنهم يتلونـه كـي يؤجـروا
ووظيفة ( الذكر الحكيـم ) علـى القبور يكـرّرُ !
أمّا سوى هـذي العلـو م فأمـره مُستَحقَـرُ

كيــف النهــوض لأمــة  لا علــمَ فيهــا يُذكَــر ؟
في الديــن والدنيــا جميــ  ــعًا ســيرُها مُتَقهقِــر !

أحد المتأدبين ( **معترضًا** ) :

إنّــا علينــا الســعي للــ  ــأخرَى ؛ وللدنيــا سوانا !
أو ليستِ الدنيــا بسِجْــ  ــنِ المؤمنين كمــا أتانــا ؟

همام

الله يــأمر أن نكــو  نَ أجلَّ أهل الأرض شــانا !
وأشــدهم بأسًــا وأر  فعهــم وأعلاهــم مكانــا
كيمــا نقيــم العــدل في الــ  ــدّنيا ونملأهــا أمانــا
فــإذا اتّبعنــا مــا يقــولُ  فســوف يُدخِلنــا الجنانــا
فــنرى بهــا الدنيــا كسجــ  ــنٍ لا نــرى فيهــا رضانــا
والدين بالدنيــا فليس يقــ  ــومُ مــا ضعُفَــت قُوانــا
وطبيعــةُ الإســلام لا  ترضــى المذلــةَ والهوانــا
هــذا المــرادُ ، وحســبُنا  قــرآنُ مولانــا بيانــا

**« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس » :**

يا بني الأشــراف قومــوا وانهضــوا
فكفــى ما كان منكــم من كَسَــلْ
اعملــوا لا تتوانَــوْا واعلمــوا  أنّ هــذا دينَنــا ديــنُ عمــل
بينمــا النــاسُ علــى أعمــالهم  بــين تشــمير وجــدّ مكتمِــل
تتهــادَوْن كأســراب القطــا  وتمشّوْن كقُطعــان الهمَــل !؟
أفــلا يغشاكــم فيــه حيًا ؟  أو لا يلحقكــم فيه خجَل ؟

أحدهم : إنهـم أشـياخنا ينهَوْنَنـا عـن تعاطينا لأعمـال السـفل
فعلينـا العلـم أن نخدمـه وسيَغْنى من على اللّـه اتكل !
همام : إن هـذا الرأي منهـم خطـل وأراكـم لا تقِـرون الخطـل
فمتى عُـدَّ مـن العـار علـى سيّدٍ مسعاه في خير السُّبُل ؟
يجلـب الخـير إلى أهليـه مِـنْ والـدٍ أعمَـى وأمٍ تبتهـل
وأخيَّـاتٍ علـى أوجههـا كمُـدة اليأس ولألاءُ الأمـل !
تتمنـى مـا لـدى جاراتهـا مـن أثـاث وحلُـيّ وحُلـل
أو لم يكتسـب المختـار في عهده والآل والصحب الأول؟
طـالب العلـم ولا كسـبَ لـه بسـؤال النـاس لا بُـدَّ يـذِل
ليس من لم يكتسـب متكـلا إنما الكاسـب عـين المتّكل !

* * *

أبـني الرسـول تعلمـوا وتدبـروا سُـنن الحيـاه
لا تجمـدوا ! إن الجمـود سـبيل من كـره النجـاه

* * *

أسـلافكم وجدودكـم شـهدوا عصـورًا غـير هـذا
فلو انهـم شهـدوه ما انتبـذوا عـن الدنيـا انتبـاذا

* * *

لا تجعلـوا أعمـالهم حججًـا ، ولكـن محّصوهـا
فخـذوا محاسـنها وخلّـوا ما تـرون الريْـبَ فيها

* * *

لا بـأس مـن تمجيـد ذكـــ ـــراهم ففي التمجيد ذكـرى !
كم حاضرٍ تحت الرمـــو س أفـادَهُ ماضيـــه نشـــرا

* * *

لكـن بحيثُ يُهيـب نحــ ـــو المجـد منطلـقَ القيـودِ
العصـر غــير العصر والـ ـأشبال أبنـاءُ الأسـودِ !

* * *

كـانوا هـداة النـاس بـل كـانوا ملائكـة التُّقـى
قـد أكـبروا شـأنَ الفنا ءِ وأصغـروا شـأن البقـا

* * *

لمـا سـرت رُوحُ التصـوّ فِ والتبتّـل فيهـمُ
مقتـوا الحيـاة كأنّهـا أشـياءُ لا تَعنيهـمُ

* * *

فـالموتُ هَمُّهمـو ، وغـا يـةُ همهـم دار المـآبْ
فَعُنـوا لهـذا بالقبـو ر ومـا إليهـا مـن قِبـاب

* * *

وتعشـقوا الموتـى فأحـ ـيَوْا لادِّكـارهم المواسـمْ
يجـدُون عندهـم العـزا عن عيش سـوءٍ غـير دائـم

* * *

فقفـوا أمـامهمُ خشـو عًـا في سـكون واحـترام
فقـد انقضـت أدوارُهـم فعليهـمُ أزكى السـلام

* * *

شَـهدوا زمانًـا فيـه قـد غلـب الجمـودُ علـى ذويـه
أنلومهــم ظلمًـا لأنْ كانـوا فريقًـا من بنيـه !؟

* * *

إنـــا لنظلمهـــم إذن وهـم التّقـاة الصـالحون
رامـوا رضـى مولاهـمُ في كل شـيء يعملـون

* * *

لكـن عليكـم أن تكـو نـوا للحقيقـة طالبينـا
لا تقبلـوا ما جاءكـم عـن هـؤلاء مُسلّمينـا

* * *

وتدافعـوا عنـه ـ علـى جهـلٍ ـ بحق أو بباطل
ليسـوا بمعصومـين عـن خطـأٍ وإن كانـوا أفاضـل

* * *

اليـوم قـامت نهضـةٌ في عـالم الإسـلام حيَّـهْ
وسـرت إلى الديـن الحنيـ ـف حياتُه الأولى القويّـهْ

* * *

شبّتْ بهـا الحـربُ الضّـرُو س علـى الطـوارئ والبـدعْ
مما بـه الأهـواء قِـد مًا ألصقتـهُ والتّشيّـعْ

* * *

فلقـد هـوَتْ بالمسـلمين إلـى الحضيـض الأوهـدِ
وقضـت على أوطانِهـم للمسـتبدِّ المعتـدي

* * *

لا بـدّ مـن هـذا الرجـو ع إلى الكتـاب الخـالد
وإلى هُـدَى المختـار والـ سَّلف الحكيـم الرّاشـد

* * *

فعليكمـوا أن تدخلـوا هـذا الغمـار ولا تكعُّـوا
أنتـم بنـو الهـادي فمـا في سبقكـم للفضـل بِـدْعُ

* * *

كونـوا مِثـال النُّبـل كـو نـوا قـادةً للمسـلمين
والديـن كونـوا في طليـ ـعة ناصريـه المصلحـين

* * *

واقضـوا علـى الأوهـام لا تَجِـدَنَّ بينكـم نصـيرا
ومـتى دعـوتم للصـلاح هديتـم بشـرًا كثـيرا !

* * *

وتعلّمـوا أن الـورى في شِـرعة الهـادي سـواءْ
ما الفضـل إلا بالتّقـى والكـل من طـين ومـاءْ

* * *

أمـا التّقـاليد القديمـه فاتركوهـا أجمعـا
أو لم تكُـنْ للفتنـةِ الـ ـعمياءِ فيكـم مهيعـا ؟

* * *

عـادٌ جرت قِدْمـا يطـول بـ ـها القـويُّ علـى الضعيـفْ
العصر يمقتهـا ، وليس يقـ ـرّها الديـن الحَنيـفْ !

**( يرى ثلة منهم يتهامسون )**

فيـمَ تهامَسـون ؟ ومـمّ تعجبـون ؟

**( ينظر بعضهم إلى بعض ويجيب أحدهم ) :**

القـــــوم لِلَّـــــذي قــد قلـتَ مُنكــرون !

آخر : يقولـون ترشَّــدت !

همام : وهــل بالرُّشْـــدِ مِــنْ لــوم ؟

فهـــذا ( قُطْـــب الإرشــــا د ) ربّ الفضــل في القـــوم !

أحدهم : نحـن نعنى فئـة النصـب الـتي أبغضتنـا آل بيـت المصطفـى !

جاهرتنـا بـالعِدا في ( جــاوةٍ ) وبوادي (حضرموت) في الجفـا

همام : سُؤتم ظنّـا ، ومـا زلتـم لمـن جـاءكم بـالنصح تبـدون الجفـا

إنـي مـن أعظــم النــاس لِمــا كان من شَغْبٍ ( بجاوا ) أســفا

وأراهــــا ســــبة تجعلنـــــا في عيـون النـاس بـين السُــخفا

غـير أني لا أرى أعظـم أســـ ـــبابها إلا جمـــودَ الشُـــرفا !

وقفوا في وجـه سيْلٍ لـو تولَّـــ ـــوه بالحُسنى لأروى وشــفى

فطغـت أمواجـه ، حتـى لقـــد جرف الأســداد فيمـا جرفـا !!

حكّمـوا الأهـواءَ ثـم انطلقــوا بالأهــاجي يمــلأون الصحفــــا

ونَسُــوا أن المبــادي لا تــــرى نُجْحهـا مــا لم تـؤاخ الشَّــرفا

* * *

أنـــا لا أعـــرف (إرشـــاديَّةً) لاَ ولاَ ( رابطـــةً ) أو جنفـــا

إنمـــا أعـــرف ( إســـلاميةً ) تجمع النـاس علـى عهـد الصفـا

تجعـل النــاسَ سـواءً لا تـرى فيهـــم ربَّــا ولا مســـتضعفا

أنـــا لا أعـــرف إلا أننـــا قد غوينـا مـذ هجرنـا المصحفـا

أنـــا لا أعـــرف إلا أننـا نشـــر الجهــــلُ علينا السُّـدَفا

فغدا العُــرفُ لدينا مُنكــرًا     وغــدا المنكرُ فينــا عُرُفــا

* * *

أنــا لا أعــرف إلاَّ دعــوةً     ( لجمـال الديـن ) شـقّت غُلفـا
تنـدب النـاس إلى دين الهـدى     مثلمـا كـان بعهـد المصطفـى
لا خرافــاتٌ وأوهـــامٌ ، ولا     بــدَعٌ تحســب فيــه زلفــا
تفتــح العلــم علــى أبوابــه     في وجـوه المســلمين الحنفــا
ليكونـوا سادة الدنيـا ــ كمـا     وعــد الله ــ عليهــا خُلفــا
ولقـــد أيَّدهـــا تلميـــذه     « عبـده » فيمـا دعــا أو ألّفــا
بــثّ روح الحــق في أتباعــه     فغــدوا فينــا غيوثًــا وكُفــا
فلنبــثّ الــروح فينــا هــذه     في إخــاءٍ ووفــاق ووفــا
لنحوز الفــوز في الأخرى وفي     هــذه الدنيا المقــام الأشرفــا

* * *

يا بــني الأحقــاف توبــوا للهـــدى
واتبعوا ( الذكــر ) ولــوذوا ( بالسـنن )
وانشــروا العرفـــان في قطركـــم
واستغلــوه وأحيـــوا كل فـــنّ
وتناســـوا ما مضـــى وامتزجـــوا
وارحضــوا الأحقـــاد عنكم والإحـــن

* * *

بينكم جنـــس ، وديـــن جامـــع
ولســـان وعهـــود ووطـــــن

( ســــتار )

# الفصـــل الثانـــي

## المشهـــد الأول

**« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا له ورسائل . يستأذن عليه « محمد » .. يتعانقان ثم يجلسان على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .**

همام : أخـي ! أيـن تغيّبـت ؟ فعهـدي بـك مـن شـهر
جـرت في الربـع أحـداثٌ وظـني بـك لم تـدرِ

محمد : ذهبـتُ إلى زيـارة شيـخ آهـلِ الكشـف والسرّ

**(وهنا يبتسم ابتسام السخرية)**

عمـود الديـن في « قَيْـدو نَ » شـيخ البـر والبحـر
ألم أخـبرك إذ يمّمـتُ مـا يمّمـتُ مـن أمـري ؟

همام : **( متنفسا الصعداء )**

بلـى إنـي ذكـرتُ الآ نَ ! فـاقبل يـا أخـي عـذري
بلانـي الله بـالحبّ ! فعقلـي ذاهـل دهـري
نهـاري كلـه فِكـر ! وليلـي مدمـع يجـري !
ولا ينفعـني علمـي ولا رأيـي ولا فكـري
ولا المشـهور مـن فضلـي ولا المتِـع مـن شـعري !

محمد : أخـي ! لا تنـس أن تصـبر فـالنّجح مـع الصّـبر
وخـلّ اليـأس ولتقـرأ معـي : إن مـع العسـر

لمـــا تـــألمُ في جســـــمي ومـــا تغتـــمُ في صـــدري !
ومـــا يحملـــه ظهـــرك محمـــول علـــى ظهـــري !
ألا تخـــبرني مـــــاذا جـــرى طِيلـــة ذا الشـــهر ؟

همام : جـرى .. مـاذا جـرى ؟ لا شيء غـير الضيـم والقهـر !
« وليُّ الله » ذو الجُبـــــو ة والأرديـــــة الخُضـــــر !
وذو المسواك في العِمَّة قـــ ـــد أربـى علـى الشـبر !
وربُّ الســـبْحة الغـــــار قُ في التســـبيح والذكـــر !
بهـــا يُذكـــرُ في النـــاس ولا يذكـــرُ في الســـرّ
ومـــن يمشـــي بعُكـــازَين مـــن أتباعـــه الكُـــثر !
يطـــاطي رأســـه لـــلأر ض كالبـاحث عـن سـرّ !
تدنّـى مـن ( شـهاب ) سـا عيّـــا بـــالختل والمكـــر
أتـــاه خاطبًـــا ( حُســـنًا ) لراشـــي دينـــه ( بكـــر )
ولم يـــألُ اجتهـــادًا عنـــ ـــده في الغض من قـدري
رمـــاني بصنـــوف الزيـــغ والبدعـــــة والكفـــــر
ولا تجهـــل طـــرقَ القـــو م في الحيلـــة والخـــتر !

محمد : خفف عليك ! فإن أمرك هـين والـرأي يبصـره ذوو الأحـلام
أفقِدْ عـدوّك روحـه بسـلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام

همام (في شيء من العتب والموجدة)
أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرًا ؟ وأيـن مقامـه ومقامي ؟
إن لم نكف عن الآثـام نفوسنا فعـــلام ننقـــم ضلّةَ الأقـــوام

محمد : لا يُخطِ ظنك ما أردت ، فلم أرِدْ
إنّا نلوذ بسُبّة وملام
إنّا لنربأ أن نقارف خلة تزري بمبدئنا القويم السامي !
لكن أردت سقوط هذا المرتشي
بطريقة تكسوه ثوبَ الذام
ونرى مخازيه الأنام ليقلِعوا عن هذه الأوثان والأصنام !
من كل قاسي القلب ينصب دينه لقضاء لذّات وجمع حطام
سأطيل محنته ، وأبطل سحره قسرًا وألصِقُ أنفه برغام
وسيُبْصِرنَّ ذوو العقيدة فيه في
بردَيْه أيَّ مدجِّل أثّام !

همام : ( وهو يبتسم ابتسامة الإعجاب والرضى )
بوركت يا خير الصحاب ! وبوركتْ
روح الشجاعة فيك والإقدام
لِتَنم جفوني ما سَهِرْتَ فإن أنم
وسهرتَ أنت فلستُ في النوام
محمد هاتِ عن قَيْدو نَ ماذا كان من أمر ؟
وما شاهدتَ في الموسم من عُرف ومن نُكْر ؟
وهل وفّقْتَ في الإنكا ر والتذكير والزجر ؟

محمد تَوافَى الناس أفواجًا إلى قيدونَ كالذّرّ
فمن ساعية تمشي ومن راكبةِ الحُمر
هناك الساحة الكبرى تحاكي ساحة الحشر
بها ما شئتَ من لهو ومن لغو ومن هَذْرِ

وقـــد غُصَّـــتْ بأشـــتات ... مـــن الآســـاد والعُفـــر !
تبـــارت ثـــمَّ في الحِلْـــ ... ـــية والأبـــراد والخُمـــر
وقـــد يقتُلـــن بـــالمِعصم أ ... و بـــالنظر الســـحري !!
مـــن الظُّهـــر إلى العصـــر ... إلى مُنْبَلَـــج الفجـــر !
هنـــاك الخســـر في الديـــن ... وحســـب النـــاس مـــن خسـر
ولا يربَـــح في تلـــك الـــ ... ـــزيارات ســـوى النَّجْـــر
وأمـــا ســـادن القبـــة ... فهـــو الرابـــح المـــثري !
تُســـاق لـــداره الأكيـــا ... س مـــن حَـــبٍّ ومِـــن تمـــر
و( للصنـــدوق ) مـــا يبـــا ... ع مـــن ورْقٍ ومـــن تـــبر !

* * *

ولمـــا حضـــر الوقـــت ... تداعَـــوْا كضحـــى النَّفـــر
وأمُّـــوا نحـــو قـــبر الشيـــ ... ـــخ بـــالطبل وبـــالزَّمر
يصيحـــــون : وليَّ الله ... جئنـــــاك إلى القَـــبر !
أتينـــاك لكـــي تحمِـــلَ ... عنّـــا ثِقـــلَ الـــوزْر
وكـــي تُسْـــبلَ يـــا قطـــبُ ... علينـــا ضـــافيَ السِـــتر
وفي الأنفـــس حاجـــاتٌ ... بهـــا يـــا ســـيّدى تـــدري !
أتينـــاك لكـــي تُقضَـــى ... ونحظَـــى منـــك بالسَّـــتر

* * *

ولمـــا وصلـــوا القبـــةَ ... داروا دَوْرة الحُمـــــــر
وأهـــوَتْ راحُ ذاك الجمـــ ... ـــعِ في التابـــوت بالنقـــر

فــلا تســـمع إلا مـــا .... يصيـــب الســـمع بـــالوقر
هنـــاك النـــاسُ غـــيرُ النـــــ ـــــاس في الإخبـاث والذِكـر !
فهـــذا خـــاضع شـــاكٍ وهـــذا دمعـــه يجـــري
وهـــذا ينشـــج النشـــجةَ تســتعصي علـــى الصـدْر !
وهـــذا يُرعَـــدُ الرَّعـــد ة في أعضائـــه تســـري !
وهـــذا ينـــذر النَّـــذرَ وهـــذا جـــاء بـــالنذر
وهـــذا صـــائح : يـــا سيِّـــ ـــدي عطفًـا علـى فقـري
علـــى عجـــزي وإهمـــالي علـى ضعفـي علـى ضـري
وقـــد جُلِّلـــتِ القبَّـــة بالزينـــــة والسِـــــتر
وبَيْضـــاتٍ مـــن البلّـــو ر عُلِّقـــنَ علـــى الجُـــدْر !
فمـــن حُمـــر إلى صُفـــر إلى زُرق إلى خُضـــــــر
ومصبـــاح كبـــير الضـــوء مثـــل الكوكـــب الـــدرّي
وللتـــابوت معنـــىً مِـــنْ جـــلال العِتـــق والقـــدر[1]
قـــد اســـودَّ مـــن التقبيـــل في مختلـــف العُصْـــرِ !
عليـــه ضِبَـــبُ الفِضّـــ ـــــة في أســـودَ كالحِـــبر
فتبـــدو كثغـــور الزِّنْـــ ـــج إذ تضحـــك مـــن أمـــر !
فثَـــمَّ الضـــم والتقبيـــ ـــــل بـــالثغر وبـــالنحر
تلاقـــى فيـــه دَمْعـــا الشـــا ب والجاريـــة البكـــر !

* * *

(١) العتق : القدم .

ولمـــا ســكن الجمـــعُ ســكونَ المـــوج في البحـــر
تـــراءى النــاس شــيخًا ذا شقاشـــقَ فيهـــم هُـــدْر
ينـــادي : أيهـــا النـــاس اهْـــنأوا بـــالفوز والنصـــر
بهـــذي النعمـــة العظمـــى بنيـــل الفضـــل والفخـــر
قصـــدتم بـــاب ذى عطـــفٍ وذي جـــود وذي بـــرّ
وإنّ الشـــيخَ لا يـــتْرُكُ مـــن زار بـــلا أجـــر !
عليكـــم بخلـــوص القصـــد في الســـر وفي الجهـــر
وبالتســـليم للأقطـــاب والخِدمـــة والصَّـــبر
وإيـــاكم وســـوءَ الظـــن بالصوفيّـــة الغـــرّ
فـــأهلُ اللّـــه هـــم . جـــازُوا منـــاطَ النهـــي والأمـــر !
ملـــوكٌ لهـــم التصريـــف في الـــبر وفي البحـــر

* * *

سمعنـــا أنْ في (حـــدرى ) تباشـــيرَ مـــن الكُفـــر !(١)
تصـــديٌّ ناشـــئٍ غِـــر بـــلاه اللّـــه مـــن غـــرّ !
يُربّـــى الشَـــعْر كالفُسَّـــاق إذ يُعْنَـــوْنَ بالشَّـــعر
تلقـــى مـــن فنـــون العِلـــم مـــا زاد علـــى القَـــدْر
فـــأغواه وأرداه وجـــاء النفـــع بـــالضّر
ومـــن شِقْوتـــه استحلـــى حميـــمَ الأدب المـــزري
جـــريء القلـــب لا يعبـــأ بالتهديـــد والزجـــر

(١) تطلق حدرى على ما سفل من حضرموت كشبام وسيوون وتريم . وعلوي على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين .

يبث السم في الجاهـــل والعلاّمــة الحِبْر
يسيء الظن بالأقطـــاب أهـل المـدَد السّرّي !
لـه أتبـاعُ سـوءٍ كلُّـهم يدعـو إلى الشّـرّ

* * *

هنـا قمـت وقـد ضـاق بـي الواسـع مـن صـدري
ومـا بـاليت بالغوغـاء في عسـكرها المجـر
وقلـت اسكت عجوز السـوء يـا ذاعيـة النكـر !
عـدو الله والإصـلاح ! هـل تهـذي ولا تـدري ؟
أتدعـو النـاس للنكـر وتهجـو داعـيَ الخـير
فصـاح الشـيخ : غولـوه فـذا مـن شـيعة الغِـرّ
فلـولا أن تسـلّلت مـن الجمهـور بـالفرّ
لكانـوا أعدمونـي مهـجتي بالضـرب والدّفر (١)

همـام : ( **يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه** )

حمـاك الله مـن سـوء وقـاك الله مـن شَـرّ
لقـد قمـتَ مقامـاً لا يُـوازي عُظْمَـه شـكري
ولا بـد لـذي الإصـلاح مـن عـزم ومـن صـبرِ

* * *

(١) الدفر : الدفع في الصدر .

## المشهـــد الثانـــي

**« في دار ( حسن ) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .**

علويـة : **( داخلة الغرفة )**

أيهـا الربـــع سـلامٌ عليْكـم !

خديجة : **( ناهضة لاستقبالها )**

وعليكـم ألـفُ ألـــفِ سـلامٍ !

مرحبًا أهـلاً بشـخص كريـم   مرحبًـا بابنـةِ قـوم كــرام

**( تتصافحان فتجلسان )**

علويـة : يا صبـاح الخـير !

خديجة : هـــذا صبـــاحٌ   بـكِ طَلْـقٌ ثغـرُه في ابتســام

علويـة : كيف حـال الربـع ؟

خديجة : في خـــير عيــش   نسأل الرحمن حُسْـنَ الـدوام

علويـة : أين حُسنٌ ؟ إن شوقي لحسـن   مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظـامي !

خديجة : هـــي في غرفتهـــا

علويـة : إئذنـــي   أن أراهـــا ..

خديجة : هي ذات احتشـــام

تستحـــي من زائرينـــا

**( تقبل الخادم بعدة الشاي )**

علويـة : ومـــاذا ؟

خديجة : قصدُنـا الأنـسُ وطيـبُ النّـدام

علويـة : قَســمًا أشْـرَبُ إلاّ إذا مـــا نشرتْ حُســنٌ بسـاطَ المـدام

خديجة : ( مبتسمة )

أتُجيديـن احتيـــالاً كهــذا ؟

علويـة : إنما أمْلَــى احتيـالي هيامــي

**(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراء ها حسن تمشي على استحياء)**

علويـة : ( قائمــة )

مرحـبًا بالبـــان يهـــتزُّ لينًا ! مرحـبًا بالبــدر بـدر التمام !

**( تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها وتجلس إلى عدة الشاي )**

يـوْه ! مــا أجملهــا مــن فتــاةٍ يــوْه ! مــا أصلحهــا لهُمــام !

صلـواتُ الله تغمـــر طـــه وحماهــا الله مــن عــين رام

**( يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي )**

خديجة : ( في تجاهل واستغراب )

مَــن همـــام ؟

علويـة : تسألينـــي عنـــه ؟ ليس يخفـى البـدرُ بـين الأنـام !

ذلــك المُصلِـح زَيْـــنُ شـــــباب القُطر ذو الهمةِ والإعتزام

ذلــك الحــالي بكـــل جميـــل ذلــك العــاطل مــن كـــل ذام

ذلك المشهــور في كل قُطــر بمزايـــاه الكِثـــارِ العِظـــام

والذي سـارت بحُسـنِ قوافيـ ـه إلى مصر وأقصـى الشـام

**(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيرًا له)**

لا تظنيـني رسـولَ هُمـام أنـا لا أعرف شـخص همـام

إنمـا آسـفُ أنَّ كريمًـا مِثلَـه يُمنـى بقـوم لئـام

هـو يسـقيهم كئـوسَ حيـاةٍ وهـمُ يسقونه كـأس سـام[1]

خديجة : مـا تقولـين ؟ أليـس همـام حاد عن نـور الهـدى للظـلام ؟

ودعـا النـاس إلى أن يقولـوا فيه مـا قـد زَوَّروا مـن كـلام

علويـة : مـا اسـتطاعوا أن يَزُنُّـوا إلا بـالذي يُعليـه أسمـى مقـام

خديجة : إن قلبـي ليَـودُّ همـامًا ورضـى بنتِ أقصى مرامي !

**( تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حُسن لهمام فتقاطع حديثها وتلتفت إلى حسن قائلة ) :**

أتحـبين همـامًا :

حسن : **( في تلعثم وخجل )**

ومَـن لا يعـ .. ـشق الحُرَّ الحسيب العصامي

فـرَع النـاسَ بعلـم وخُلـق وجهـادٍ في الهـدى واعـتزام !

خديجة **( عائدة لتتمة حديثها )**

غير أنـي لا أطيق كـلام النـ ـاس في زوج ابنـتي بـالملام

فـلزوج البنـت عنـدي محـلٌّ في السـويداء مـن القلـب نـام

خـبّريني كيـف أدفـع عنـه حـين يُرمـى بـالفِرَى وأحـامى

ليتـه خلّـى زمـام الـورى فيـ ـهم ، فما كـان بـربِّ الزّمـام

فيـم يهتـمُّ بأمـر سـواه وهـو لـمّا يَعْـدُ سنَّ الغلام ؟

---

(١) السام : الموت

لـو تملـى بليـالي صبـاهُ  فمضـت في غبطـة وسـلام !
لـو تخلى عـن شـؤون البرايـا  وتولّـى شـأنه باهتمـام !
وتعامـى عنهُـمُ !

علويـة : هـو يخشـى غضـب اللّـه لهـذا التّعـامى
فالذي يكتـم علـمَ الهـدى يُلْـ  ـجَمُ مـن نـار لظـىً بلجـام
إنمـا ضـرّ البرايـا تعـامى  هـؤلاء العلمـاء الضخـام
يبصـرون النـورَ وهـو مضـيء  فيلـوذون بسـتر الظـلام !
ويـرون النـاس في ليـل جهـل  يتدجّـى أفقـه بالقتـام
يـتراءمون علـى كـل قـبرِ  ومصـاب الديـن في ذا الـترامي
ويـرون المنكـرات عظامًـا  فـتراهم عندهـا كالعِظـام
ويقولـون : لنـا بـالألى قـد  غـبروا مـن قبلِ حسـن ائتمـام
أنـرى نعـزو إليهـم ضـلالاً  وهـم أمثلـةُ الاعتصـام ؟
مثـل هـذا عذرهـم وهـو عـذر  سـوف لا يقبـل يـوم القيـام !

* * *

فخليـق بفتـى كهمـام  أن نـرى غيرتـه في اضطـرام
إذ يـرى موطنـه في انحطـاط  ويـرى أمتـه في انقسـام
دب فيهـا داءُ جهـل وخلـفٍ  وعـداء قـاتلٍ وخِصـام
فانـبرى ينعشـهم مـن خمـول  ومضـى يوقظهـم مـن منـام !

خديجة : فهبيـني قـد رضيـت ، فمـن لي  بشهابٍ وهـو صعب الزمـام ؟
وهـو لا ينفـي ويثبت أمـرًا  بسـوى رأي ( الوليّ ) الإمـام !

جاءه من قبل عشرين يومًا    فنهاه عن قبول همام
ورجا تزويج حُسن ( لبكْرٍ )    فبه اليمن وحسن الوئام
قال : إن المصطفى يتأذى    من همام ، قلبه منه دام
وأولو البرزخ سوف يغيرو    ن عليه عاجلاً بانتقام

علوية : ( في غضب )

ذلك الدجّال لا ريب فيه    أوليٌّ ا لله عبد الحطام ؟؟
قد رشاه بالريالات بكرٌ    والرُّشى للقطب غير حرام
أفؤاد المصطفى غير راض    عن غيور عن هداه يحامى ؟!
وأولو البرزخ كيف يغيرو    ن على حيٍّ وهم في الرجام ؟؟
معشرٌ ماتوا وصاروا إلى النيـ    ـران ، أو صاروا لدار المُقام
تُرَّهاتٌ جعلوها من الديـ    ـن ، تعالى ديننا المتسامى !

* * *

## المشهد الثالث

**( علوية تزور زهراء في بيتها )**

علوية : صديقتي ! إني لمشتاقةٌ إليكِ

زهراء : واشوقي للقياك !

**( تتعانقان بلهف )**

أهلاً بمأتاك ، وشكرًا لذكـ    ـراك فقد جرّتك ذكراك

علوية : عندىَ بشرى لكم

زهراء : بشّرى    علَّ المنى في طيٍّ بشراك

علوية : أيـــن همـــام ؟

زهراء : أهـي بشـــرى له ؟ هاتـــي أطـــال ا الله محيــاك !

فإنـــه ثـــمَّ علـــى حالـــةٍ من الأسى يبكـي لها البـاكي !

علوية : يبكـي لها البـاكي ؟ ألا ويحـه ويـح لـذاك الأسـد الشـاكي !

زهراء : هـاتي أبيـني : مـا الـذى جئتنـا بـــه ؟ رعـــاك ا الله مـــولاك

لعـلَّ أن تفثـأ عنـــه الأســى بمنـاكِ ، مـــا أبـــرك يمنـــاكِ !

علوية : خديجـة ليَّنـــت مـــن قلبهـــا على همــــام

زهراء : هـــل جـــرى ذاك ؟

كيــف وأيـــن ومتـــى ؟

علوية : زُرْتُهــــــا أمـس وهـاكِ مـا جـرى هـــاكِ

« تقص عليها حديث أمس كلـه مما جرى بينها وبـين خديجـة وحسن .

تستأذن زهراء لتبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حـين إلى علوية » .

زهراء : بشـــرته فـــانهملت عينـــه مـن فـرح مـا كـان لـولاك

وقـام مـن مضجعـه ناهضًـا يشـكر حـقَّ الشـكر مسـعاك

علوية : لم آت مـا أُشكر من أجلـه !

زهراء : بمثـــل ذا اللطـــف عرفنـــاكِ

إن همامًـــا قـــانع في الهـــوى بكذبـــة مـــن فـــم أفـــاك !

ويـــأخذ اللفظـــة فـــألاً لـــه مـــن قصـةٍ يوردهـــا حـــاك !

وقد يـــرى الحليـــم فيعِنـــدُه نور رجـاء وسـط أحـــلاك

فكيف لا يبكي سرورًا وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فله خِلّه محمد ذو الخلق الزاكي
لازلتما عون أخي دائما والله يرعاه ويرعاك !

* * *

## المشهد الرابع

**« سالم في بيت السيد ( ولى الله ) لتحقيق المهمة التي كلفه محمد إياها . يدخل على ولي اللّه في غرفة فخمة مزدانة بكل ما يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده مستندًا إلى جمهرة من الوسائد مادًا رجليه لرجل عنده يكبسهما ».**

سالم : سيدي يا صاحب السر العظيم يا ولي الله يا غوث العديم
متّع اللّه بمحياك الورى إنما وجهك مصباحُ العتيم
الولي : مرحبًا بالخادم البرِّ الذي خصه الرحمن بالقلب السليم
حَسِّن الظن بأهل السرِّ يا خادمي تحظ بجنات النعيم
آه ـ لو يعرفني هذا الورى لأتوني من قصيَّات التخوم
أنا جيلانيٌّ هذا العصر ، قد وطئت رجلاي أعناق النجوم
خضت بحرًا وقف الخلق على ساحليه في ذهول ووجوم ـ
من رآني أو رأى من راءني فهو محظور على نار الجحيم
أهل هذا القطر ما دمت به في رخاءٍ وهناءٍ مستديم
يولد الطفل على عيني ، كما يرحل الراحل أو يغني المقيم
أسعد الناس بنا أحسنهم نيةً فينا فذاك المستقيم

وأشدُّ الناس خسرًا من بنا ساء ظنًا فهو شيطان رجيم !
ذاك في نار لظّى مهما يكنْ كامل التقوى يصلي ويصوم !
ولقد قام أخيرًا ناشئٌ صرفته عن رضى الله العلوم
رام إسقاط مقام الأوليا جاهدًا ينفث في الناس السموم
زاعمًا أنّ الورى في ضلةٍ وهو يمشي وحده النهج القويم
هكذا من كان لا شيخ له من أولى الباطن في الغي يهيم!!

سالم : سيدي علٌّ همامًا قصدكم ذلك المفتون بالرأي السقيم

الولي : نحن لم نعن سواه

سالم : أننا لي في علاج الناس أسلوب حكيم
ربما اسطعتم به إن شئتم أن تردوه عن الغيّ الذميم

الولي : أنت لا تستطيع أن ترجعه للهدى أو تحييَ العظم الرميم
إنَّ هذا المحال !

سالم : إنني بالذي يُغري همامًا لعليم !
إنّني أعرف مثوى ضعفه فسأرميه بنبلي في الصميم
إنّه يهوى فتاةً لشها بِ هوى قيس لليلي في القديم
هو في غير الهوى ضرغامة وهو في الحب ضعيفٌ كالظليم
وشهابٌ خاتمٌ في كفّكم ليس يعصى لكم الأمر الكريم
لو سعيتم لهمامٍ عنده فضمنّا لكم أن يستقيم !

الولي : ( في غضب وهياج )
ليت شعري كيف أقضي حاجة لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
كبه الله على منخره ! وسقاه الله في النار الحميم !
كم عناني أمره من ماردٍ ! ولكم عذّب قلبي بالهموم !

والـذي نفسـيَ فـى قبضتـه وبه السَّبْع السماوات تقـوم !
نحـن لـولا أنَّ في غضبتنـا حِطةً من رتبة (القطب) الحليـم
لضربْنـا ضربـةً تنسِـفه وتركنـاهُ كمـذْروّ الهشـيم
وأصـابتْ بيتـه نائبـةٌ تذهل المرضع عن رعي الفطيـم
سالم : إنمـا نقضـي علـى أنفاسـه إن جعلنـاه إليكـم يسـتنيم
إنَّ هـذا لهـوَ الـرأي الـذي يحفظ الناس من الـداء الوخيم
الولي : أتـراه يرعـوي عـن غيّـهِ إن أعنّاه علـى نيـل المـروم ؟
سالم : ذاك مـا لا شـكَّ فيـه ، وأنـا لكـم بـالكفِّ عـن ذاك زعيـم
الولي : خـادمي ! رأيك هـذا صائب فهمـام خطـرٌ فينـا عظيـم !
غير أنَّ الأمـر قـد فـات ولم يبـق في الـرأي مجـال للحكيـم
قـد خطبناهـا ( لبكـر ) قبلـه وحبانـا منـه بالمـال الجمـوم
فرميناه ( بصندوق القـرى ) لغريـب أو فقـير أو يتيـم !
**( يسكت قليلاً ثم يقول )**
كـم همـامٌ دافـعٌ مـن مالـه ؟
سالم : ضعف بكر أيها المولي الكريم
الولي : ذا إذًا ألـف ريـال ! هاتـه قم ! وثق أنّا سنقضي مـا يـروم
إن بكـرًا ذو غنـى ، لكنـه يـابس الكـفِّ شـحيحٌ ولئيـم !
سـيرى عاقبـة البُخْـل غـدًا عندما يُخطِئه الوجـه الوسيم !

**( يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله من الغد )**

سالم : قـد فعلنـا كـلَّ شـيءٍ وظفِرْنـا بهمـام
وارتضى مـا قـد شـرطنا ه عليـه بـالتزام
وهـو مسـرورٌ بهـذا شـاكر سـعي الإمـام
تـاركٌ دعوتـه النَّكْـراء مـن أجْـل الغـرام

الولي آخـذ أن ليـس يؤذيـكم بفعـلٍ أو كـلام

سالم : أينَ مـا أعطـاك ؟ هـل أقـبلتَ بالمـال الـلزام ؟!

الولي : هـاك تحويـلاً إلى « جـا وَا » بـألف بالتّمـام
( يمد يده للتسلم )
هاتـه ليـس لِجَيْـبي بـل لصنـدوق المقـام !!

* * *

# المشهـــد الخامـــس

**بين ولي الله وشهاب :**

الولي : جـاءَني الليلـة آتٍ في المنـام صائحا يهتـف حسـنُ لهمـام
إن بكـرًا فسـدت نيتـه فـي توليهـا بحـبٍّ واحـترام
شهاب : إنـه يـا سـيدي مبتـدع
الولي : إنه قـد تـاب عـن هـذا الإثـام
شهاب : **( في استغراب )**
ومتـى تـاب ؟
الولي : أتـاني نادمًـا أمس مما بثَّ في النـاس السمام
إذ دعونـا الله أن يهديـه سمـح الله بـإدراك المـرام
شهاب : **( في خضوع وتسليم )**
ليكـن مـا شئتم يـا سـيدي نحن نرضي رأي مولانـا الإمـام

* * *

# المشهد السادس

**بين زهراء وخديجة :**

زهراء : صديقتي ! إنَّ قلبي ممّا فعلتم لموجعْ
أشتاقكم غير أنّي من وصلكم أتمنّعْ
فإنَّ جرحي منكم فيه الأسا[1] ليس ينفعْ
ولو أطعت صوابيَ ما جئتكم أتسكع

خديجة : زهراء : لا بأس بالعتب فهو للودّ أجمَع
ما ساءَ قلبك مني ؟ قولي لعلّي أرجع !
فربما خبّ واشٍ فينا إلى الدحس يهرع[2]
وذا زمانٌ لئيمٌ فيه المودات تقطع

زهراء : إن هماماً شقيقي له بقلبي موضع
فنيلكم منه نيلٌ مني بغير تورُّع

خديجة : زهراء ! أسرفت في تهْمَتي ، فبَعْضَ التسرُّع
فما ذكرت هماماً إلا بما عنه يسمع
من الخروج على الناس في تقاليد تتبع
قصصت ذاك لعصماءَ من بنات المشفع
لأنها لهمام رأيتها تتشفع
قامت تدافع عنه بحجج ليس تدفع

---

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .
(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

وإن قلـــبي ليهـــوى حبيــب ( حســن ) المشــيع

زهراء إذن فمـــاذا التـــأبي منكــم وهـــذا التمنــع ؟

إلا رحمتــم فتــىً مــن هجرانكـــم يتوجـــع

تكـــاد أحشـــاؤه مـــن نشــــيجه تتقطـــع

خديجة : إن الإبـــا مـــن شـــهاب ومـــا لمـــا شـــاء مدفـــع

لأن رأي شـــــهاب للعـــارف القطـــب يرجـــع

زهراء : ( في غضب )

القطـــبُ لِـــصٌّ عـــن الإرتشــــاء لا يتـــورّع

يشـــرى ويبتـــاع « حُســــنًا » خلــف المطــامع يهبــع

كأنهـــا ســـلعة في السُّـــوق تحـــطُّ وترفـــع

ألمْ يبعهـــا « لبكـــرِ » ذاك البغيـــض المُدفـــع ؟

كـــأن ســـود الدياجي بوجهــــه تتلفـــع

ثـــم أرتجـــي مـــن همـــام همـــام ألفًـــا لكـــي يتشـــفع

وربمـــا باعهـــا في غـــدٍ لزيـــد ومرتـــع

والنـــاس ظنّـــوا أبـــاكم تســـلم المـــال أجمـــع

إن الـــوليّ عـــن الســـوءِ عندهـــم يـــترفع !

أبو كـــم ليـــس يـــدري ممـــا عـــن النـــاس يســـمع

ولـــو درى لتـــبرَّا مـــن الـــوليّ المرقّـــع

خديجة : ( وهي تتألم ) :

أقـــد تُحَـــدّثَ عنـــا بـــذاك في كـــل مجمـــع

يـــا ويلتـــاه ! أتؤتـــي مـــن حيـــث لا نتوقـــع ؟

إنـــا أنـــاسٌ على عـــزّ نـــا نحـــامي وندفـــع

أعراضنـــا هـــي أغلـــى ... مـــا في الحيـــاة وأمنـــع
لـــو كـــان يـــدري شـــهابٌ ... لمـــا تهنّـــا بمضجـــع
وســوف يــدري عســى عــن ... هـــذا المدجـــل يُقلـــع

**( تتنهد وتستعبر )**

يـــا ليـــت ( ســـعدًا ) لدينـــا ... في أمرنـــا اليـــوم يقطـــع
لمـــا ألانـــا اجتهـــادًا ... في أخـــذ مـــا هـــو أنفـــع
لكنـــه غـــاب عنّـــا ... تســـع ســـنين وأربـــع
في أرض ( جـــاوا ) الـــتي ... تـــأكل الرِّجـــال وتبلـــع
راحَ ليجمـــع مـــالاً ... لنـــا بـــه نتمتـــع
يـــا بئـــس مـــا جمعـــت كفّـــ ... ـــه ومـــا هـــو يجمـــع !!
مـــاذا يفيـــد الغـــني مـــن ... يخســـر أهـــلاً ومربـــع
تزوجـــت « مزفـــةٌ » عُـــرْ ... ســـها بـــه لم يُمَتَّـــع
تُســـأل : أيـــن أبوهـــا ؟ ... فـــلا تُجيـــب ، وتدمـــع
وهـــذه أختهـــا أوشـــ ... ـــكت تـــزف وتخلـــع
فواشـــقاءَ حيـــاةٍ ... فيهـــا الفـــؤاد مـــوزَّع

* * *

## المشهد السابع

( بين سالم وشهاب ) :

سالم : مـــالي أراك كئيبًـــا ؟ مُنْتَقَمًـــا يـــا شـــهابُ ؟
فمـــا أصـــابكَ ؟ قـــل لي

شهاب : إنـــي بخطـــبٍ مُصـــابُ !
ذاك الـــذي كـــان يدعـــي بذِكْـــره ويُجـــابُ
ومَـــنْ بغرتـــه كـــان يُسْـــتَدَرُّ السَّـــحاب !
مـــن كنـــت أبصِـــرُ أخطـــاءَه وهُـــنَّ صـــوابُ
قـــام يُلـــوِّثُ عرضـــي بمـــا بـــه النَّـــاس عـــابْوا
فقيـــل إنـــي طَمُـــوع بالمـــال وهـــو كِـــذَاب
لـــولا المُدَجِّـــلُ هـــذا لمـــا علانـــي عـــابُ
لله درُّ هُمـــــــام فهـــو الحكيـــم العجـــاب
إذ قـــال : أمثـــال هـــذا في المتقـــين ذِئـــابُ !!
وإنمـــــا ســـــترتهم عـــن العيـــون الثيـــاب !
فمـــا نـــراه شـــرابا مـــا هـــو إلا ســـراب

سالم : أنـــا الـــذي ســـلّمته مـــالَ هُمـــامِ بيـــدي
فـــلا تكـــن مـــن أمـــره في شـــكّ أو تـــردُّد
إن هُمامًـــا لَلعصـــا مـــيُّ الكريـــم المحتـــد
مهمـــا يقـــل فإنـــه زيـــنُ شـــباب البلـــد
رآك لا تصغـــــي إلى غـــير كـــلام ( الســـيد )

ولم يجــــــــد إلا وليّ الله خـــــيرَ مســــــعد
فلـــم يــدع رأي صديـــــــقه الفتـــى « محمـــد »
ولم يكـــن ذاك الـــذي يهـــدي الـــورى بمهتـــد
مَـدّ إلى الدرهـــم جيـــــــدَ ذِلّـــةٍ في صَيَـــدٍ !!
وكـــان مـــا كـــان فـــلا تغضـــب ولا تفنّـــد
أنـــت عليـــك الغُـــرم والغـــم لـــرب المـــدد !
هـــذا جـــزا تـــارك رأيـــــــه لـــرأي أحـــد !!

* * *

## المشهـــد الثامـــن

( بين شهاب وبكر ) :

بكر : يا عـــم مـــا الـــذي جـــرى ؟ ردَدتَ مــــنيَ اليـــــدا
ألســـت قـــد قبلتـــــني فمـــا عـــدا ممـــا بـــدا ؟

شهاب : ( يتجلد ويخفي غضبه )
حظـك يـا بكـر ـــ الـذي حـــلاً عنـــك المبـــوردا
فـاطلبْ ســـواها تلــــــقهنّ كالرمـــال عـــددا

بكر : ( في وقاحة )
وأيـــن أمـــوال الـــتي أنفقـــت فيهـــا بـــددا ؟

شهاب : لمـــن دفعتهـــا ؟!

بكر : لمــــــوْ لانـــا الـــوليّ المقتـــدى !

شهاب : ( في سخرية )

إذن فخذهـــــا منـــــه لا  تطلـــب ســـواه أحـــدا

بكر : ( معترضًا )

أعطيتـــــه لأنـــــه  كـــان لكـــم معتمـــدا

شهاب : ( في غضب )

خسـئتَ يـا نـذلُ فقـم  وخـلِّ عنـك اللـدا !

أليـس فينـا حاكـمٌ  يحكـم هـذي البلـدا ؟

فاشـكُ إليـه مـن علـى  مالك ـ إن شئتَ ـ اعتدى !

بكر : ( في تضعضع وخجل )

إذن ... فمـالي كلُّـه

.. أكلـه .. وازدردا ..

إذن ... فلـم يعطـكَ مـن  مـاليَ ... شيئًا أبـدا .. !

أمـا اكتفى بمـا ارتشـا  ه نصفَ ألفٍ عـددا ؟

يـا ويلتـا ! واحسـرتا !  واحزَنـا ..! واكمـدا !

لأرفعـنَّ أمـرَه  إلى الأمـير « أمجـدا »

أفضحـه عنـد الـورى ..!

شهاب : ( وقد سرى عنه )

الآن أبصـرتَ الهـدى !

بكر : ( يتنهد )

فليمـض مـالي لظهـو  ر سـيئاته فِـدَي !!

* * *

## المشهـــد التاســـع

**( همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه ) :**

الأمير : أتــدري يــا همــامُ لأيّ أمــر دعوتـــك لي ؟
همام : لخـــير يـــا أمـــيري ؟
الأمير : ألم تعلـم بمـا اجترمتـه كفـا ولي ا لله مـن إثـمٍ كبـير ؟
همام : بلى هـذا حديـث قـد فشـا في حمانـا في الكبـير وفي الصغـير
الأمير : فمـاذا أنت يا سنـدي مشـير به في مثـل ذا الأمر الخطـير ؟
همام : أرى أن تَحْبِســوا الجانـي وأنْ لا
تمسُّـــوه بســـوء أو نكـــير
فمطلق حبسه كاف ـ أراه ـ لردع سـواه من أهـل الشـرور
الأمير : ولكـن والـدي يخشـى علينـا ـ إذا عاقبته ـ سوءَ المصـير
يُحـاذِر دعـوةً منـهُ علينـا فتُلحِقُنـا بأصحـاب القبـور
همام : أمير ما عهدتــكَ غير حــرٍّ طليـق الفكر متقد الشعـور
وحسبك ما قــرأت عليـك طــردًا
لأوهـــامٍ توســـوس في الصُّــدور
أتعـــرفُ إثمَـــهُ وتخـــاف منـــه ؟
أتقبـــل دعـــوة العاصي الكفـور ؟؟
كـذاك الوهـم تُشـربه نفـوس فتشـهد مـا تُخيَّـل مـن أمـور
وقـل لأبيـك ذا بكـرٌ شـكاه وهتّـك مـا عليـه مـن سـتور
فلو كان الولي لديـه حــولٌ لكان رمـاه بالسهـم المـبير

فإن تحبسه جئت بـه دليـلا    يسجِّل عجز أقطاب الغـرور
فليـس أذاه مقصـودًا ولكـن    لِيبْطـل سـحرهُ بيـد الأمـير !
الأمير : لقـد قـررت هـذا الـرأي قبـلاً    فبورك في ذكـائك مـن مشـير
وإن الدّجل أبغـض كـل شـيءٍ    على الدُّنيـا يضيـق بـه ضمـيري

* * *

## المشهـد العاشـر

**( يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة )**

شهاب : محمـدُ أنـتَ الجـريءُ الفـؤاد    وأنـت صديـق هُمـامَ الـوفي
فلـو كـان مـن ربّـهِ مُرسـلا    لكنـتَ حواريَّـه المقتفـي
وتعلـم مـا كنـت أوذِي هُمـا    مـا بـه غـيرَ هـادٍ ولا منصـف
أتـابعُ في أمـره مُفسـدًا    يبيـع ويبتـاع بـالمصحف !
وإنـي علـى مـا مضـى نـادمٌ    وأنت بإصلاح أمـري حفـي(١)
محمد : ألا مرحبًـا بالسَّـليم الفـؤاد    وبالطَّـاهر السيرة الأشـرف
بعتم حبيْبة خير الرِّجال بمن لا    بصهْـر هُمـام الوديـع الصَّفـي
بمن لا يُقِـرُّ علـى المنكـرات    وليـس يُطـاطئُ للمِعْسَـف(٢)
همـامٌ يُحبّـكَ مهمـا فعلـتَ    بـه عـن ولائـك لا ينتفـي
يـراكَ أبـاهُ فمهمـا قسَا    عليـه لتأديبـهِ يعطِـفِ

---

(١) عارف وخبير .    (٢) هو الظالم الشديد العسف .

**( يبتسم شهاب وتتهلل أسارير وجهه )**

شهاب : فلله ما كان أنقى همًا وأشرفَ أخلاقهُ الساميه !
أضارسُه ثم يبقى ودودًا عليَّ طويَّته صافيه ؟
محمد : بقدر نبالَةِ أخلاقِهِ يحبُّ حبيبتَهُ الغاليه !
تمادي به حبُّها فهو لا يقِرُّ القرار له ثانيه !
يبيت يناجي نجوم السماء ويخضع أدمعه العاصيه !
ويجلس في بيتهِ للطّعام إذا ما أجاب له داعيه !
فيُذهلُه الحبُّ عما لديه حتى لتنكفِئُ الآنيه !!
وإني لأخشى عليه ـ إذا تماديتم ـ الضربة القاضيه
هنالك نخسر زَيْنَ الشباب ونحرَم أنفاسَه العاليه !
ويسألكَ الله عن مهجةٍ ـ قضت بك مصلحة هاديه
شهاب : ( وهو يبكي )
كفى يا محمد ! إني أتيت لتكفير أعماليَ الخاطية
فلو كان ذنبُ هُمام فحسب عليَّ لخفَّ على باليَه
أزوِّجُه اليوم من حسنِهِ فيغفر زلّاتي الماضيه
ولكنني قد عصيت الإله وعرّضت نفسيَ للهاويه
لقد غرَّني وعد ذاك الوليّ بمحو خطيئاتيَ الخاليه
وبشَّرني أنه قد رأى قصوريَ في الجنة العاليه
فلم أتزوَّدْ لدار البقاء اتّكالاً على الزُّلفِ الواهيه
فأيقنت ذا اليومَ أن ليس ينفعني غير أعماليَ الزاكيه
وأن ليس يمحو خطاياي غير النّصوح من التوبة الماحيه
نصائح كان ينادي بها همامٌ فنرمي بها ناحيه
فها قد بدت لجميع الأنام مخازي مُدجلنا الغاويه

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـ ـذي لتطهير أدرانها كافيه
فلا تبتئِسْ ، إن ربًا هداكَ ليبغي بكَ الخيرَ في الثانيه

**« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قائلا »**

وأمرُ هُمام ؟؟

شهاب : وماذا يريد همـ ـامٌ وليس لحُسْنٍ سواه
هي اليومَ بينَ يديه وما مُناي من الدّهر إلا رضاهْ
ولكن. حديث (الرُّشى[1]) المسـ ـتفيض شوّش أفكار أمِّ الفتاه
فما زال يلهَج أهل الحِمى بأن ( الوليَّ ) همامٌ رشاه
وأن شهابًا تسلّم أموالَ بكرٍ و لم يُعطه مُبتغاه
فقالت نؤخّر تزويجَ حُسـ ـنٍ لِنقطع ألسن هذى الوشاه
فما كان لِلمال إيثارُنا ولكن لعلمٍ وفضلٍ وجاه
فأوص صديقك أن يطمئنّ إلى الصبر حينًا ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقو ل همامٌ إذا رُعته بالخبر ؟!
أقدّم باقة زهر له وأطوى له الصّلّ بين الزهر
فلو رُحت تنصَحُها بالعدو ل عن رأيها ! علها تأتمر !
علامَ تبالي كلام الطّغام وما ينطقونَ بغير الهذَر ؟
وأعيان ( سيوونَ ) تدري الـ ـحقيقَ وبعد غدٍ يظهر المستتر
سَيُحْبس هذا الوليُّ الشقي وتفضح سوءاته والعرر

---

(١) جمع رشوة .

شهاب : لعلــكَ تجهــل أنّ النســاءَ إذا قلـن شـيئًا فهُــن القــدَر
ولا يَرعويــن عن الــرأي لـو وضَعْــتَ بأيمانِهــنَ القمــر
فكم قد سعيت وكم قـد نصحت ولكـن كـأنّي نصحـت الحجـر

محمد : إذن لـن يطيق همـام المقــامَ هنــا ،

شهاب : لـيرحْ نفسـه بالســفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجَـ ـر ( جـاوَةَ ) أو للبـلاد الأخـر
وبعـدَ ثلاثــين شــهرًا يعــو د ، وسوفَ تمـرُّ كلمـح البصـر
هنـالك تبلـغ سِـنَّ الــزّواج ( حُسْنٌ ) وتنضج نضـج الثمـر
وربَّمَـا عــاد ( سـعدٌ ) إلينــا فـيزهو بـه عُرْسـنا إن حضـر

( ستـــار )

## الفصــــل الثالــث

### المشهــــد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء : ( في جزع )

أهمــامُ خــبّرني بــودّك لي ... مــالي أراك تنضّــد الكتبــا ؟
مــاذا اعتزمتَ أأنــت تاركنــا ... للحادثــات تســومنا الكربــا ؟

همام : ( في حنو )

لا يـا أخيّــة ! أجملـي جزعــا ... لا ينـس قلـب المؤمـن الربــا
سـفري لطـول إقــامتي سـببٌ ... ولـرُبّ بُعـدٍ أعقــب القُربــا

( يتغير وجهه )

إنـى أخــافُ إذا مكثــتُ هنــا ... أن لا أطيقَ فــأقضيَ النّحبــا !

( يخالط صوته البكاء )

أيسرُّ قلبـك أن أمـوت أســىً ... في الرّبــع إذ تبكيــنني ندْبــا ؟
أو ما رأيــتِ القـوم قـد قطعـوا ... صوتَ الحيـاة وكـان قـد لبيّ !
حفلوا بسمعتهم ـ كما زعموا ـ ... لكنّهــم لم يحفِلــوا الصّبــا
لِيمُــت شــهيدًا مــن يشــاءُ ولا ... يتوهمــوا في عِرضهــم ثلْبــا
آه ! أهــذا كلُّ ما أ تمنــى ؟ ... ولقد وهبتُ الــروحَ والقلبا !

( يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله فيستحي مما تكلم به في أهلها )

يا حسنُ ! معذرةً فأهلك نا　　لهم الملامُ وما جنَوْا ذنْبا
حاولتُ عَتبهمُ بتَوْءدةٍ　　لكنني لم أُحسن العتبا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن　　ترضَىْ رأيتُ عذابها عذبا !
وإذا غضبت غضبت في بصري　　فأرى الخليقة كلها غضبى !

( ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون )

زهراء خليني لأرحلَ عن　　هذي الديار فأسلوَ الحبّا
فلقد لقيتُ به دواهي له　　رُغْنَ الجبالَ تركنها تربا
هيهاتَ هيهاتَ السُّلوُّ ! ويا　　ليت السلوَّ يُباع أو يُجبى !
أفكلما سَفَرَ اللقاء أتى　　آتٍ فسدَّل دونه الحجبا !
أو كلما ابتسم الربيع لنا　　جرت الدبور وهبّت النكبا ؟

زهراء : ( آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه )

عفوًا هُمام فليسَ قصـ　　ـدي أن أهيجك يا ابن أمي !
لكن شجاني أن تفا　　رقنا وتركب ظهر يمّ
إنَّ البلاد لسوف تَفْـ　　ـقد فيك نجمًا أيّ نجم
نجمٌ يفيض هدايةً　　وسناهُ من خلق وعِلم
تبًّا لدهر دأبُه　　يَرمي أفاضِلَه فيُصمي
أيصَدُّ مثلك عن مطا　　لبه ويُمتّع كل فدْم ؟
أهمام إن كنت اعتزمتَ　　على الرحيل فخيرَ عزم
إذهب وعُدْ عما قريـ　　ـب بين عافيةٍ وغُنْم
سيكون ربك حافظًا　　لك في الفلاة وفي الخضم
ولسوف تدرك ما تؤمّـ　　ـلُ ما ظللت إليه ترمي
ثقي بحسن أن تُعيـ　　ـد لك خففت حزني وهمي

همام : ( في حزن وأسف )

لكــنَّ حُســنًا لم تشــأ تنويــر خطــبي المدلهــمّ
كــم قــد كتبــتُ لهــا الرســا ئــل بــين منثــور ونظــم
فتصــدّ عنهــا لا تجيــب كأنهــا لا تعــرف اسمــي !!
وطلبــتُ منديــلاً لهــا ليكــون في الظلمــات نجمــى
ويكــون أنســي في البعــا د يكــفُّ مــن حزنــي وغمــي
آوي إليــه إذا نــزا قلــبي بضــم أو بلثــم !
ولقــد أتــاني ردُّهــا لكــن تعــثر فيــه فهمــي
وإليكِــهِ فاتليــه ثــمّ اقضي على حُســن بحكــم

( يناولها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها )

الرسالــة :

حبيبــة قلبــي علّليــني بتنويــلِ
أقَــضِّ زمانــي في رجــاء وتأميلِ
بعثــتُ إليكِ الكتب تترى ، فلــم أفز
ببعــضِ جــوابٍ منكِ يا غاية الســول
كأني لم أحمــل هــواكِ ، ولم يكــن
لقــاؤك قصــدي في الحياة ومأمــولي !!
وهــذي النوى قد أوشكت أن تميل بي
إلى عــالمٍ من رقعــة الأرض مجهــول
أقَضِّي به دهــرًا قضيتــم به علــى
حُشاشــة صــبّ عاثِــر الجدِّ مخذول

فجـــودي بما أمَّلــتُ منكِ وأجملــي
وداعــًا لمفتــون بحُبــكِ متبــول
وإني لراضٍ منكِ يا حُسْــنُ باللّفــا
بقطعـــةِ ثــوب أو بشقَّــةِ منديل ،
لعلــي أسْطيـــع ابْترادًا من الجــوى
بضمّـــي إيَّاهُ لصــدري وتقبيلــي ؟
همــام

## الـــرد

جوابُكَ عنــدي ما تظنُّ ، فلا تــرم
بكُتْبـك إحراجـــي فإنك ذو علـــم
وإني فتـــاةٌ ليس أمـــري في يــدي
فإن شئتَ فاطلــب ما تؤمّل من أمـــي
حُسن

زهراء : **( تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها )**

همـام أمّـا جـوابُ حُسْـنٍ فإنـــه أبلـــغُ الجـــواب
دلَّ علــى الحـبِّ والتفـــاني فيــكَ إلى عِفَّــةِ الجنــاب
وإنهـــا إن تحـــبَّ يومـــاً ففـي حمى الصَّون والحجـاب
إن كتابًــا يـــأتيكَ منهـــا رســولُ آمــالِك العِــذاب
ما تبتغــي أنــتَ فـوق هــذا يأتيك من غــادة كعـــاب ؟
لــولا هــوًى صـادقٌ لديهـــا لم تــر منهـا نصـف كتــاب
وســوف آتيــك بالذي رمْــ ــتَهُ فـــلا تبــقَ في اكتئاب

## المشهـــد الثانـــي

**( همام على حماره في طريقه إلى الساحل ( المكــلا ) بعـد أن شيعه إخوانه وأصدقاؤه . أمامه دليله البدري عامر يقــود جملا له يحمل زادهما )**

همام : رويـدًا رويـدًا حِمَـار البعـادِ — فإنك تبعدُ بي عن حبيبي !
ولم يك خطـوُكَ فوق الترى — ولكنه فوق قلـبي الكئيـب !
أراك كنعشٍ بجسـمي يسـيرُ — ولكن إلى غير قبرٍ قريـب !!
فيا بعـد (سَيْورن) عني؟ ويا — ذُنُوكِ (جاوةُ) من ذي السُّهوب!
عليها السـلام سـلامُ الـودا — ع، سلامُ البكاء، سلامُ النحيب
سلام على حسن بين العذارى — سلام على قلبها في القلوب !
سلام على دارها في الديـار — سلام على دربها في الدروب ؟
سلام علـى أهلهـا الطيبين — من كـلِّ بَـرٍّ كريـمٍ نجيـب
سـلام علـى وَطـنٍ طـاهر — تضوَّع منها بمسـكٍ وطيـب
سلام سلام على ساعدي الـ — أشـدَّ وصِنْوى المطيع الأديب
سلام على خـيرة الأصدقـا — ء محمـدٍ الألمعـيّ الأريـب
سلام على لطـف زهـراء إذ — تفرّج همي ، وإذ تعتـني بي !

**( همام في بلاد الأحقاف )**

**( يخرج المنديل من جيبه فيضمه إليه ويقبله )**

أتعلم يا منديـل أنّـكَ مُؤنسي وأنّـك عنـدي للكريـم المحبّـب
وما ضرَّ من ينأى ـ وأنت بكفه أنيـس نـواه ـــ أنــه يتغــرّب

**( يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السـير قليـلا يتأمل في تلك الآثار ) .**

انظر إلى هـذي السـهول فقـد كـانت مـزارع مـا لهـا حـد
كـانت جنانـا لا فُجـاءَ بهـا ـ غير الممر لراكب ـ تبـدو[١]
من عدوة الوادي القصيّ إلى الـ أهضـام مـن حَـدْراه تمتـدُّ
عمَر الجُدُودُ بهـا مواطنهـم فغنّـوا وعيشـهم بهـا رغـد
ما بعد عام الألف مـا قدُمَـتْ منـه العهـود ومـا بهـا بُعْـدُ
لمـا تجفُّ بهـا مواطـيءُ أقْـ ـدَام الألى اشتغلوا بهـا بعـد
البُرُّ والسمراءُ ، والـذُرّة الــ ـبيضاءُ والأفــواهُ والرنـــدُ !
والنخـل والأعنـاب حافلـةً بقطُوفِهـن كأنهـا شـهد !
والسِّدر يفرش في الفضا بسطا مـن سُـنْدسٍ خُضـرا فينسـد
فهنـالك النعمـاء تخطـر مـا بـين الحقـول يزينهـا الـبرد
لله عيشـهـم فـلا كَـدرٌ يعتـاق صفوهـم ولا جهـد
دَعْ عهدهـا العـاديَّ من قِدَمٍ فلقـد تقـادم ذلـك العهـد
إذ كانت الأنهـارُ جاريـة تحـت الجنـان كأنها الخلد !

---

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها خالية من الأشجار والزروع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلـك الحقـــائق لا يُصدقهـــا　　قـوم عيـــون قلوبهـــم رمــد
تلكـم بقاباهــا تــدُلُّ علـــى　　مــا كــان ـــ سَدٌّ دُونـه ســد !
يحتـاز مــاءَ القطـر يقســـمه　　بين الأراضـي حُكمهـا القصـد
فنمت مزارعهـا فمـــا فَتِئَــتْ　　فيهـا الغيـوث تـروح أو تغــدو
هي سُنَّةُ البـاري فمـا كـثر الْــ　　ـــــأشجار فالأمطـــار تشــتد

* * *

قف سائل الآثار كيـف ذوت　　تلـك الخمـائل فهـي ذي جُـرد
تخبرك إن نطقـــت : وربَّتمــا　　نطـق الجمــاد وقولـه الرشــد
في بطـنِ أرضٍ أنـــت واطئهــا　　همـــم تصــول فليـــس ترتــد
تصبـو إلى العمـل المفيـد تـرى　　أن الســعادة ركنُهــا الجـــدُّ
فتلاهُـــمُ خَلــــفٌ كـــأنهم　　لا ســـاعدٌ لهـــم ولا زنـــد !
فَسَـــبِيْلُنا ترديدنــــا أبـــدًا :　　نعم الجـدود وبئسـت الولـد !!

* * *

## المشهـــد الثالـــث

**في منتصف الطريق على مقربة من الريدة ( بلاد البدو )**
**( همام يلتفت ـ وقد كادت الشمس تغرب ـ إلى بدوية عامر )**

همام : سر يا أخا البدو وحَثحِث جملك   لا يُظلم اللّيلُ ويشتدَّ الحلك
ونحنُ لمَّا نأت بعدُ منزلك   أبلغكَ الله بخيرِ مأملك
ولا أصابَ الحبُّ يومًا مقتلك

عامر : هُمام يا خير سَراة العُرب   لا تذكر الحبّ لِعانٍ صبٍّ
متى دعا داعي الهوى يُلبّ   إني أحسُّ ضرَمًا في القلب
يدفع في صَدري ويكوي جنبي !!

همام : بالله هل تُعْرف معنى الحب؟   وما به من فرَح وكرب
وهل سَعِدْت مرة بالقرب   أم أنت مثلي مستطار اللبّ
لمّا يَفُزْ من حوضه بشرب

عامر : أنتَ إذن يا صاحبي سعيدُ   وإنّني وحدي أنا المعمود
من بعد ما طابَ ليَ الورود   حَلاني عن حَوْضِها الصُّدود
فليسَ ليَ صَبرٌ ولا مَجلود

همام : أنت السَّعيد وأنا المنكودُ   فالوَصل مهما قلّ فهو عيدُ
تُشفَى به من دائها الكُبود   لكنَّ هجري الأبَدُ الأبيدُ

ليتَ الزَّمـــان لي بـــه يجـــود وبعـــدَه تطويـــنى اللُّحـــود !!

عامر : يَظهر لي من بعض ما أراكا أنـك تهواهـا كمـا تهواكـا
يا ليت حظي من وجودي ذاكا إذن لكنت حامــدًا مـــولاكا
وما شكـــوت مِثـــلَ مُشــتكاكا

همام : عـامر ممـا زادَنـي ارتباكـا أنَّـا اشتركنا في الهوى اشتراكا
أشكو نواها وهي تشكو ذاكا فيَستهـــلُّ مَدمعـــي اشـتباكا
لـمـــا بَلاهـــا وبَـــلا أخـــاكا

عامر : ( في حـزن )
لا تحسَبَنَّ هَجرها هجرَ شـرَف لفرط غنـج أو دلال أو ظَـرف
لكنه أشنَـــع ذنب يُقـــترف تتْركـني زوجًا إلى غيري تزف
وصـــكُّ عقـــدِها معـــي لما يجـــفْ

همام : ربّاه في كـل مكانِ ذو شغف يُسلمه الحبُّ إلى مهوى التَّلف
رحماك بالعشاق من جور الهيف ما غار من غور و لم يَعل شرف
إلا وفيـــــه مغـــرَم القلب دنِـــفْ

* * *

## المشهد الرابع

**( يصلان إلى حي عامر في الريدة ( بلاد البدو ) . يذهب عامر لسقي جمله وإراحته ويسلم هماما لأخته ناهية )**

ناهية : (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهلا بمن وافى دار أخي عامر
إنزل على الرحب في المنزل العامر
وأمر بما شئت فإنك الآمر

**( تهيء أدوات القهوة وتباشر إصلاحها )**

همام : بورك يا أختُ فيكِ وفي عامر
سَرَّيْتما عني بلبالِيَ الثائر
سماحةُ البادي يجهلها الحاضر

ناهية : **( منادية )**

هلمّ يا سُعْدَى هلمّ يا لُبْنَى !
لنلمّ حيّين ضيفَ أخيكَنَا

**( تدخل فتاتان جميلتان متلثمتان وتصافحان هماما . ينظر إلى إحداهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك ) .**

ناهية : **( لهمام )**

إني أرى عينيك عيني شاعر قل ما تشاءُ ويك لا تحاذر
لا بأس عندنا بلحظِ الناظر إنّا نرى العفّة في الضمائر

همام : رأيـــت بـــدرًا نصفـــه في الســحب والنصــف مبـين
هــبي عليهــا يــا نســيم واكشــفي ذاك الجبـــين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لــو أزاحــت لثامهــا لــك مــا أنــت فــاعل ؟
ولــو انجــابت السحائــب مــا أنــت قــائل ؟

همام : ســأريها الغِـزال لــو أن بـــدرًا يغـــازَل
وســـتروي روائعـــي في هواهـــا القبـــائل

ناهية : همـــامُ ! مـــا البدويَّـــا ت عنــد غيــد المدائــنْ ؟
الموقَــراتِ مــن التــبرِ حاليـــات المحاســـن
كأنمـــا أنـــتَ بـــالبَد و ســاخر أو مداهـــن !!

همام : لا والــذي فلــقَ الحَـــب ، ســرُّه فيــه كــامنْ
لفـــي المَهَـــى البدويَّـــا ت معجـــزات المحاســـن
لحـــاظهن ســـهام لهـــا القلـــوب . كنـــائن
قدودهـــن رمـــاح في كـــل قلـــب طواعـــن
جمـــالهن الطبيعـــي زاخـــر بالمفـــاتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب　أبو الطيب السامي على كل شاعر
تحامي حسان الحضر في الشعر ناسبًا　بما في البوادي من مهيّ وجآذر
ما أوجه الحَضر المستحسنات به　كأوجه البدويات الرعايب
(حُسن الحضارة مجلوب بتطْرِية　وفي البداوة حسن غير مجلوب )

( يدخل عامر )

عامر　: يا مرحبًا بهمام النّدب　إنزل على سعةٍ على رحب !
هل تشركوني في حديثكم　فلعلّكم تجلونَ من كربي

ناهية　: ضيفكَ يهوى البدويَّات　ولا يحب الحضريات

عامر　: أتحِبُّهن همام ؟ إنك شاعرٌ　ماذا تعشَّق في ظباء الباديه ؟

همام　: أهوى بساطتها وأهوى دلها　ولحاظها مثل السهام الماضية
وتُميلني سكرًا طِوال قدودها　وتَشوقني منها الخلال العاليه

عامر　: إن كنتَ تعشقها فخذ لُبْنى　( مشيرًا إلى لبنى )
وخذ إن شئتَ سَعدى (مشيرًا إليها)
(مشيرًا إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية

( يضحك الجميع ويضج المجلس بالضحك )

ناهية　: أما أنا فلا أحبُّ شاعرا　يَلفِظني تمرًا ويهواني رطب

يُطالع الغيدَ الحِسانَ دهرَه فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدرى من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشْتبَها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيّ شيءٍ يفْضلُ الشاعر يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لَقبلةٌ واحدة من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودِعها مُهجته فيرتوي منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطبَعُها على الجبين ذاكرًا كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخَ الهوى بقبلة الخدَّين أو لثم الشفاه

( ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيما . ويبقى ساعة في ذهول )

أستغفر الحب لقد أشركتُ في عبادته
ماذا أقول لحبيبي خُنته في غيبته ؟
أيدَّعي هواه مَن يُخفِره في ذمته

* * *

كأنني بالحب يلو ني بسوط نِقمته
ألحدتُ في توحيده لم أخشَ من عقوبته
أكلما لاح جمال هِمت في صبابته ؟

ناهية : عـــامر ! مـــا للضيـــف لجَّ غارقًـــا في غشـــيته ؟
إنـــي أخـــاف أن يصـــا بَ في الحمـــى بميتتـــه

عامر : دعيــــه ! خليــــه ! فـــإني عـــارفٌ بمحنتـــه
ســـينجلي عنـــه الـــذي أصابـــه مـــن ســـكرته

همام : ( باقيًا في ذهوله غير منتبه لما بين يديه مستطردًا في حديثه )
يـــا حســـنُ ! لا تعـــاقبي عبـــدك في جريمتـــه
فقـــد أتـــاك تائبًـــا مـــن ذنبـــه وهفوتـــه
مـــا كـــان إلا عـــابدًا حُســـنك في قداســـته
يشـــهَده في كـــل وجـــهٍ زاخـــر بفتنتـــه
في طَلعـــة البـــدر ، وفي الظـــبي وحُسْـــن لفتتـــه
وفي زهـــور الـــروض في ربيعـــه ونضرتـــه
وفي وجـــوه الغيـــد شـــيءٌ مـــن ضيـــاء غُرَّتـــه
يختلـــف المحـــراب والـــربُّ بوحدانيتـــه

( يـدار بعـامر ويغشى عليـه . ترتـاع أخواتـه وتـأخذن في تنبيهه برش الماء عليه )

ناهية : عامـــر!

عامر : هـــا !

سعدى : عامـــر !

عامر : هـــا !

لبنى : عامـــــــر !

ناهية : قـــم يا عامـــر !

همـــــام

همام : ( مفيقًا من ذهوله )

مـــا لعـــامر ؟ هـــل نـــــ ـــــام ؟

ناهية : ( لنفسها ) يهـــذي الآخــــر !

( ثـم لهمـام ) أمـا تـــراه ســاقطًا مغمـــى عليــه يـــا همـــام ؟

روعتمـــــــــا قلوبنــــــــا الليلـــة في هـــــذا الظـــلام ؟

همام : لا تخـــافي ســوءًا علـى عـــامر إنـــي لأدرى بمـــا يعانيـــه عـــامر

أسمِعيــه اســم زوجـــه يصـــــ ـــحُ من إغمائـــه

ناهية إنهـا لـزوج غـــادر !

همام : إن تكـــن غـــادرًا فـــإن هواهـــا لجَّ في نفس عـــامر والشراشـــر !

ناهية : إنـه قـد ســلا هواهـــا ؛ أيهـــوا ها وقد آثرت عليـه ابـن جـابر ؟

همام : صدّقينـــي بأنـــه مـــا ســـلاها إنـــي عـــارف لـــــه ومخـــامر

ناهية : غصـــنُ ! يا غصـــنُ !

عامر : ( **يمسح جبينه** )

أيـــن غصـــنٌ أجـــاءت ؟ مرحبًا مرحبًا بـأكرم زائـر !!

راجعيـــني يـــا منيـــة القلـــب بـا لله فـإني لما جنيـتِ لغـافر !

( **بصوت منخفض** )

أو فخافي من عامر فسيرديـ ـك - على رغم أنفه - وابن كاسر

(**يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته**)

أين غصنٌ أيممت جهة المخـدع؟

ناهية : يـا عـامر انتبـه يـا عـامر !!

لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إنَّ في حيِّنا مئـات الحرائـر !

همام : ( **لعامر** )

عـامر قـم بنـا نصـلّ فرضنـا

( **يلتفت للنسوة** )

وقمـنَ أنـتنّ فهيئـن الوضــوء

وقمـن صلـين جميعًـا خلفنـا

ناهية : ويحك هل على النساء مفترض ؟

لا نعرف الصلاة هـل تريدنـا مثل الرجـال للصـلاة ننهـض ؟

حسـب الفتـاة عندنـا اسـتقامةً بـأن تصـوم الشـهر إذ ترمـض

عامر : حتى الرجـال بعضهـم يصلـي والأكـثر الأكـثر مـن تخلّـى !

وكنـت فيمـا مـرّ مـن أيـامي أخشى من الخمس على أنعامي

فإن غضبت مـرة على جمـل رميتـه بركعتيـن فاحتمـلْ !

حتى علمتُ بعد ذاك أنه وهمٌ فأقسمت لأتركنه
ومنذ ذاك ما تركت الخمسا وما رزئت بَكرةً أو عنسا

همام : رباه هل تبلغ دعوة النبي إلى ربي الصين وأقصى المغرب
وتخطئ الدعوة أرض العرب ؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب الذنب ذنب قارئي الكتاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب إذ لم يبثوا دعوة الوهاب
في البدو أهل الجهل والغلاب وعطّلوا بأوهن الأسباب
وصية النبي والأصحاب

همام : ( في أسف وحزن )
شغلتهم قبابهم والقبورُ أن يقوموا بدعوة أو يسيروا
حسبوها في نسكهم كل شيء فعلام الإدلاج والتهجير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر إليه التيسير والتعسير !
وإليه اللجا وفيه المرجَّى وعليه التكلان وهو المجيرُ
كاشفَ الضرّ إن أُصيبوا بسوءٍ فإليه ابتهالهم والحضور
وإذا ما ابتغَوْا قضاء مرام فإليه قربانهم والنذور
كيف ترجى هداية البدو منهم وهمُ عن سنا الهداية عور ؟
إن حسب البداة أن يستظلوا في حمى دَجلهم وأن يستجيروا
ويكونوا على هواهم نزولا بيديهم شئونهم والأمور
حسب ذلك الخضوع لُيضحُوا سُعداءً وذنبهم مغفور

آه لو هُذِّبَ البداةُ لأمسوا وبهم للأنام خير كثير
ولكفوا عن قتل بعضهم البعض وقَطع السبيل وهو كبير
ولساد الأمانُ وانبسط الخير وزال الشقا وعم السرور

* * *

## المشهد الخامس

**( تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جمله وهمام يشد حماره يتهيآن للسفر )**

همام : **( راكبًا على حماره وعامر يحث جمله )**

عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة

عامر : أنت الذي شَببتَ بالتذكار نارًا بقلبي يا لها من نار !

همام : كيف انطرحت ساقطًا مغمى عليك ؟!

عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسميَ استرح !!
أوّاه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الخِب الدعي !

همام : يا عـامر اتَّئِدْ وخـل الطيشـا فقتلـك النفـس يُمـرُّ العيشـا
دعها وما اختارت وخذ سواها فـأبلغ النفـس بهـا مناهـا

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هـذا البلا ؟
لا والنبيِّ المصطفـى المختـار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير البـاري
فإنـه نـوع مـن الإشـراك بخـالق الأكـوان والأفـلاك
وقـد نهانـا عنـه سـيد البشـر أليس في قول الرسول مزدجـر ؟

عامر : أقسـمت بـا لله ورب البيـت ورازق الحـي ومحيـي الميـت
لأسـقينَّ النغْـلَ موتًـا أحمـرا وأرويـن مـن دمائـه الـثرى
وأفتكـنَّ بعـده بالفـاجره أقذِفهـا قبلـي لـدار الآخـره !

همام : يـا عجبًـا تقتلهـا وترتقـب بعـد لقاءهـا بـدار المنقلـب ؟

عامر : إنـي أحبهـا ، ولـولا حبهـا لكـان مـني الطـلاق حسـبها
تـأبى علـيَّ غـيرتي عليهـا تركـي سـوايَ آويـا إليهـا
يرغم أنفـي أن أسومها الـردى وبعدها سـوف أموت كمـدًا !

همام : ألا تخـاف غضـب الرحمـن في قتلـك الأنفـس بالطغيـان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فخل اللوما
أنت تقول الحلف بالنبي محرّم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
يرون إيلاءً بعبد الله أعظم من إيلائهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك
أعزز علي أن أراك عاقلا منور الفكر وتغدو قاتلا

عامر : همام إني شاكر ودادك ونصحك الممحوض واجتهادك
فإن أطقت الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي
وإن تغلّب الشقا عليه فلست إلا من بني غزيّه !

* * *

# الفصـــــل الرابـــع

## المشهـــــد الأول

« همام ـ خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت عائدًا إلى سيوون ـ بعد أن قضى عامين ببلاد جاوا ـ راكبًا على حماره ومعه دليله النجاب حاملاً فوق ظهره رزمة من الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام : أسرع السير يا دليلْ ! أسرع السير يا دليلْ !
إن بي ظمأةً لما ءِ بسيوون سلسبيل
بُلَّ مني صدى الجوى واشف من جوفي الغليل
ليت شعري ـ وكادت النفـ ـس من يأسها تسيل
ومضت أربعٌ طوالٌ ـ وعمرُ النوى طويل ـ
في انتظاري ـ والانتظا ر لأهل الهوى قتول
أترى الوصل لي متا ح أم الوصل مستحيل ؟!
أئذا ما دنوتُ ميلا تباعدَتْ ألف ميل ؟!
قسمًا بالحبيب ! ـ أستغـ ـفر اللَّه ! ـ بالجليل
لا أرى الوصلَ ممكنًا أو أرى وجه الجميل
وأراه بعين رأسي بلا حائل يحول !
وأحسّ اليمين في فرعه مرة تجول !

ضاق صدري ، وعيل صبـ ـري وضلتْ بي السبل !!
وتناهى بيَ الجوى وبرى جسميَ النحول
وتداعت أضالعي من نشيج ومن عويل
واستحالت قريحتي من ذكاء إلى ذهول
أتهادى كشاربٍ أوْهنتْ ساقَه الشَّمول !
جاحمٌ في جوانحي يتلظى بلا فتيل
كلما قلتُ : ذاب قلبي وغالتْه منه غول
رجّ صدري خفوقُه فتوقعْتُ أن يميل !!
فحنانيك لا تَلم ! أو فلُمْ أيها العذول
ليت شعري هل لي إلى ما تمنّيتُه وصول ؟
فأمانيّ أوشكتْ أن تموت من الذُّبول
أبحَقلي وحدي أنا الجدب والخصب في الحقول ؟!
أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أخا الحضر هل ترى رجلاً سيره ثقيل ؟
لست أحتاج أن تقول : أسرع السير يا دليل
لي من النفس سائقٌ ينهب الحزْنَ والسهول
أختشي أن يفوتني « نصر » نجّابُ ( باعقيل )
**( يصمت قليلا ثم يقول )**
أين نصرٌ مني ؟ وأين من المضمر الهزيل ؟
أنا سَيْري منظم لا بطيء ولا عَجول
وهو يشتدُّ في الذّميـ ـل فيعتاقه الذميل

أنـــا غـــول القفـــار وابـــــــــنُ الديـــاميم والمجـــول
لا أبـــــالي إذا مشـــيْتُ أذى الشـــمس والوحـــول

همام : مـا لتجارنـا عبـاديد شـتى يتبـارَوْن بغضـة وحقـودا
كـثروا عـدة وقلّـوا غَنـاءً وأضـاعوا بالافـتراق الجهـودا
وغـدَوْا كـلٌّ واحـد بـبريد مـا لهم لا يوحدون الـبريدا ؟
فيطيقـوا إرسـاله كـل أسبو ع ويجروا بـه نظامًـا سـديدا
إن في طوقهـم لـو اتفقـوا أن ينشئوا السفْن في البحار عديـدا
وبها يستغنون عن سُفن لأجـ ـنب يصليهم العذاب الشـديدا
ولقد كان للحضارم في البحـ ـر سفين أيام كـانوا أسـودا
جاريات من الخليـج لبحـر الـ ـهند حتى ( أندونيسيا ) لتعودا
داؤنـا أننـا نخيـب جماعـات وقـد نـدرك النجـاح فـرودا
أسرع السـير يـا دليـل ! أسرع السير يا دليـل !
واصـل السـير لا مبيـت ـ إذا شئت ـ أو مقيـل

النجاب ( **متهكمًا** ) :

أسـرع السـير يـا دليـل أسـرع السـير يا دليل
هـل تراني طيـارةً هـل تراني أُوتومبيل ؟؟

**( يشير بيده إلى طريق السيارات التي بدئ بإصلاحها بحضرموت بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعبيدها )**

دونـك انظـر طريقـه ! فتُنهَـى عمـا قليـل

همام : ليتـه قـد مشـى فـأو صـلني الليلـة ( السحـيل )[1]

---

(١) الجانب الغربي من سيوون .

النجاب : لا رعى الله عهده إنه عهد عزرئيل
لا تقدره يا إلهى وعسّر له السبيل !
وإذا تمّ فابْلُهُ بأذى البدو والقبيل !
وإذا ما مشى فلا فارق الوحل والسيول !

همام : قل لي لأية علة أبغضت خلْقًا من حديد ؟
ماذا جناه عليك حتى خلته الخصم العنيد ؟

النجاب : هو قاطع رزقي القليل غدًا وأرزاق العديد
من كل جمّال وحمّار وزمّاش بالبريد
أتريدني كالحضر إذ خالوه مفتاح السعود ؟
وبشير آمال النهوض وفجر أيام الصعود
تَعِسوا وخاب رجاؤهم وتعثرت بهم الجدود !!

همام : ( لنفسه )
فهِمَ الفتى البدويُّ ما لم يفهم النِّسْ الرشيد
( ثم للنجاب )
حُيِّيتَ من فطِن فدا وُك كل ذي ذهن بليد
ما قلتَه كاف لُيمْقَت ما يضر ولا يُفيد
ووراء ذاك سوام أبرصَ تنفث السم المبيد
سُلٌّ الممالك والشعوب وهيضة العصر الجديد
من كل لص قاتل للمال والخلق الحميد
لكن ظلم الناس بعضهم لبعضهم عتيد !
ليعيش فرد واحد لا بأس من شعب يبيد!!
ولسوف يجنون الندامة منه والأسف الشديد !

## المشهـــد الثانـــي

« منبسـط مـن الأرض فسيح يـرى في آخـره مــن جــانب الوادي مدينة « سيوون » على بعد بحيث لا يتبين النـاظر إليهـا إلا بياض منائرها وأبنيتها العالية محفوفة بهالة عظيمة من خضرة النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام : أهـــذه ســـيوون أم جنـة عـدنٍ أزلفـت للمتّقـين
للّـــــه مـــا أجملهـــا مَنظرهـا الزاهـي يسـر النـاظرين
تحسبهـا ــ مـن بُعْــدٍ ــ حديقةً خضراءَ تسقى من معين
قــد نـثرت في تُربهـــا جنـابذُ اللؤلـؤ والـدرِّ الثمــين !
تفـــوح في أرجائهـــا روائـح الـورد وَعـرف اليـاسمين
يحنـــو عليهـــا جبَـــلٌ كما تضمُّ طفلها الأمُّ الحنـون !
تضـــرب في أجوائهـــا منـائرٌ تخفـــى مـــرارًا وتبـــين
كأنهـــــا أعمــــــدةٌ قامت عليهن السماوات المتـون
تجعلهـــا الرِّيـــاح في تَلعابهـــا أهدافهـــا إذ ينـــبرين
أو كقـــرون حـــامل الـــ أرض على قرنيهِ فيمـــا يزعمـون
أثقلــــه آثامهـــــا فمرَقتْ من جوفها تلك القرون
قِبابهـــا زاهيــــــةٌ لو لم يكن حرمها أسمـــح ديـن

هـدّم بعضهـا ( بنـو الـــ ـتوحيد) فيما قد خلا من السنين
فهـــي تـــرى كأنهـــا بيض نعام أجفلت من صـائدين
ريعـت فداســت بعضـه فهو على الأرض فليقٌ وطحـين

* * *

لئـــن يكـــن منظرهـــا وحسنها الزاهي متاعَ المبصريـن
فـــإن في مَخْبرهـــا خـير متـاع لقلـوب النـازلين
تفــرّدَت حِســـانها بالظرف واللين إلى خُلـق متـين
ورقـــةٍ كأنّهـــا نسيب (عبـاس) أرقته اللحـون
كأنّمـــا أنـــت إذا جُزتَ بها تخطر ما بين الغصون
إيـــاك مـــن لحاظهـــا إياك أن تصرع من سحر الجفون

يتنهـــد

كـأن ( حسنًا ) أفرغـت علـى رباهـا مـن جمالها المُبـين
نضـــارَة كخَدِّهـــا تَعُبُّ حتى ترتـوى فيهـا العيون
ورقّـــة في جوِّهـــا كما تندى خَجلاً منهـا الجبين
في مائهـــا حـــلاوةٌ من ريق حسن ما خمور الأندرين؟
وفي محيّـــا شمســـها ملاحةٌ من ذلك الوجه الحسين
وفي قـــدود نخلهـــا من قـد حُسْنٍ هيفٌ بـه تزيـن
صباحهـــا الفضـــة قـــد سالت على زمرُّدٍ مـن الغصـون
وذهـــبٌ أصيلهـــا يبتعث الأنس ويهتاج الشـجون
مـــن نحرهـــا وثغرهـــا ووجنتيهـا سرقا تلـك الفتـون
وليلهـــا مُعَنْـــبر كفرعها في عَرْفه وفي الدُّجـون

مدينـــــة شـــــبيهها في حضرموت وسواها لا يكـون
( يتـــأوه )
لـــولا توانـــى أهلهــا لقلــت هــذه جـزاء العــاملين
ليــس لديهــم عمـــل إلا قضاء الوقت في لهــوٍ مشين
يشـــقون في غربتهـــم بالجمع للمال وهـم مقتصـدون
حتـى إذا مــا وصلــوا إلى بلادهم إذا هــم يسـرفون
كـــــأنهم قيـــاصرٌ يُبَــدِّدون المــال لا يكـــترثون
ولا يفكّـــــــرون في خدمتها بــالنزر ممــا يجمعـون
ولا يزالـــــــون في غربتهـم صناعــة أو يخْلِقــون
لينفعـــوا أوطـــانهم بهـا إذا عـادوا إليهــا راجعـين

* * *

## المشهـد الثالـث

**( همـام في مكتبـه وعنـده صديقـه محمـد يـزوره زيـارة خصوصية بمناسبة قرب زواج همام )**

همام : محمـــدُ
محمد : لبيـــك !
همام : مــــاذا ورا ءك مـــن خـــبرٍ ؟
محمد : ليس عنـدي خـبرْ

سـوى أن قلـبيَ مستبشـر بنيـل المنـى وبلـوغ الوطـرْ
وأنك سوف ترى من تُحِب قريبًا وينزاح عنـك الكـدر

همام : أخـي أنـا في مِرْية بعـد في لقـاء حبيب فـؤادي الأغـر
فقد درجت في انتظاري السنو ن ومـا بُلَّ من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جُمادَى اللقـا ء تلاشت جُمـاداهُم في صفـر

محمد : همامُ زمـان المطـال انقضى وهـذا أوانُ الوصـال ابتـدر
أتغري بقلبك بَـرْحَ الشـكو ك والوصلُ بعد غـدٍ منتظـر ؟
وهـذي بيوتك قـد زُيّنـت وأهلـوك في نَشَـوات الحَـبَر
وأكـدتُ أمس على المطربيـ ـن - على رغم أنف الذي قد خطر -
بـأن يحضُرونا مساء الزفـاف وصبحَ الدخول وليـل السـمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو ن بـذاك ؟
محمد : رضوا بعـد طول النظر
خشُـوا المـانعين لهـم أولا فداويـت بالمـال ذاك الحـذر
ومَنْعُهم النـاس أن يطربـوا كمـا يطربـون . دليـل البطـر
وليس بـذاك لهـم حجـة سـوى كبريـائهمُ والأشـر
همام : محمـد ! لا أبتغي المطربـين على أنـني لـك ممـن شـكر
لئـلا يقـال : لحـظّ هـوا ه دعـا للمسـاواة بـين البشـر
وإن سـروريَ بـالوصل لا بمن نَقَـر الـدّف أو مـن زمـر
ولكن سـيزدان بالمطربـين زواجـك ! هـلاّ به تفتكر !!

صديقي إلى مَ تحامَ الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد المقبل ، وحيد البُكر ؟

محمد : همام رويدك !

« يبتدره البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

همام : ( لنفسه ) ويلاه ما لـ صديقيَ أدمعه تبتدر ..؟
أشق عليه كلامي ؟
( ثم لمحمد ) محمد زلّت لساني ألا تغتفر ؟

محمد : ( لنفسه )
إلهي أبحتُ بسر الهوى وكنت على كتمه أصطبر ؟

ثم لهمام : صديقي أتحسب أنك سؤ تَ فؤادي ودأبك لي أن تسر
أمثلك يجرحني قوله ؟ فتلك لعمري إحدى الكبر
ويا ابن الأكارم ماذا جنيتَ حتى تنصلَ أو تعتذر ؟
همام كتمتك جُهدي الهوى ولكن أبى الحب أن يستتر
همام أتعهد مني البكاء همام أتعرف فيَّ الخور ؟!
وكنت ألومك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عذر !
وأعجب كيف تصول الظبا ءُ على الأسد؟ حتى رماني القدر!

همام : محمد ! لا تحبسنَّ الدموع ودعها على رسلها تنهمر !
فإن القلوب إذا أجدبتْ بحزنٍ فإن الدموعَ المطرْ !
وقل لصديقك أيُّ الظبا ءِ رماك وصرّح له بالخبر
فما في الصبابة عار على فتًى طاهر الذيل عفِّ الأزُر

محمد : ( يكفكف من دموعه )

همـام أتذكـر « علويـة » نصيرتنـا في الجهـاد العسِـرْ ؟
سليلة طـه ، فتـاة الحجـى ، مِثـالَ الكمـال مثـال الطهُـر
أتتنـي يومًـا علـى حالـةٍ تُذيب القلوب وتجري العَـبَر
محمـد ! هـذا أوانُ الغيـاث وهـذا أوانُ تـلافي الخطَـر
مضـتْ ليلتـان ومـا عندنـا مـن القـوت شـيءٌ بـه نعتصـر
وأخـتي غارقـةٌ في السَّـقا م وإنـي لأحسـبها تُحتضـر
وزوجـةُ عمـيَ في طَلْقهـا تعـاني المتـاعب والوقـت قُـر
وعمـيَ سـافر منـذ شـهو رِ فـلا عـاش مضطـرُّه للسـفر
وكـان لدينـا بحانوتـهِ يعيـشُ ويتجـر فيمـن تجَـر
فشنّع إخوانه بـل عِـداه ـــ عليـه ، وقـالوا : لئيـم قـذِر
يُدنِّـس أحسـابنا إذ يـرو ح إلى السوق كالناس أو يبتكـر!
فما أنهـتِ القـولَ حتىٰ غدو تُ ويوشِـك قلبيَ أن ينفطـر
وأذهلها الحزنُ عـن موقفـي فلـم تتحفـظْ ولم تسـتتر
فأبصرتها مـن خـلال الحجـا ب كما لاح بين السحاب القمـر!
رأيت الجمال ، رأيـت الجـلال رأيت الهوى والشباب النضـر!
وراحـت تنـثُّ علـيَّ الثنـآ ءَ بما قـد قضيتُ لها مـن وطر
وقـد تركتـني سـليبَ الفـؤا د قليل القـرار ، كثـير الفِكَـر
أردّد أقوالهـا في الضمـير ترنُّ بأذني كصـوت الوتَـر !
فهـأنذا بعدهـا يـا همـامُ قصـير الرقـاد طويـل السـهر
رحمتُ فأسعفتُ ثـم انثنيـتُ وفي كبدي مثلُ وخز الإبر !
فلطفـك يا رب فيما قضيت فلم يُنْج مما قضيـتَ الحـذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتـاب    واطـراح العتـاب مـني قبيـح
أكـذا تكتـم الحـوادثَ عـنيٰ    وبمـا دونهـا إليـك أبـوح ؟!

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي    فاعفُ عني فأنت عـني صفـوح
إن عِـبءِ الهوى علـيّ ثقيـلٌ    وببثّيـكَ سـرّه أسـتريح
غير أني كتمتـهُ عنـك جهـدي    حـذرًا أن ينـالك التـبريح
ولو أنـي نظـرتُ فيـك لحظـي    يـا خليلـي للـذّ لي التصريـح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري    فاسـلُ عنـه فإنـه مطـروح
إن ما أنت آمـلٌ سوف أغـدو    سـاعيًا في تحقيقـه وأروح
فـدع الهـم إنهـا سوف ترضـا    ك وحسـب المليـح زوج مليـح
محمد : ( لنفسه )
هـو يـدري بـأن مـا أتوخـا    ه مُحال من الأمـور طـروح[1]
فهو يبغي بذاك تخفيـف حزنـي    إنـي بالأسـى إذًا لذبيـح

* * *

---

(١) بعيـد .

## المشهـد الرابـع

( ساحة كبيرة أمـام بيت العروس « حسن » فيمـا بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفهـا إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا تـرى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينمـا الجمهـور يتحـرك ويتجه ـ في سير بطيء ـ إلى جهة بيت همام ).

القينات : نحـن نـزُف الشمسـا والشـمسُ في ضُحاهـا
فمـا أجـلَّ عُرسـا يغمـره سـناها !

الجمهور : نحـن نـزُف الشمسـا والشـمسُ في ضُحاهـا
فمـا أجـلَّ عُرسـا يغمـره سـناها

القينات : نحـن نـزف الحيـا نحـن نـزف الـمُنى
نحـن نـزف الضّيـا نحـن نـزف السـنا

الجمهور : نحـن نـزف الشمسـا ... ... ... ...
... ... ... ... ... ... ... ...

القينات : يـا عُصبـةَ الغوانـي هَلـم للتطريـب !
اشـدون بالأغانـي واهتِفْـن بالنسـيب
واضمُـدْنَ بالأمـاني دوامِـيَ القُلـوب

الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ... ... ... ...
... ... ... ... ... ... ... ...

القينات : حيِّيـن بالسـلام هذا الشعاع المسكوب !
وافثـأن بالأنغـام كـل حزيـن منكـوب

الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ... ... ... ...
... ... ... ... ... ... ... ...

القينات : روائـح الجنـان تعبق مـن هـذي الـدُّور
كأنمـا المغـاني أمسَتْ مراقص الحـور!
نحـن نـزف الشمسـا ... ... ... ... ...
... ... ... ... ... ... ... ...

القينات : نحـن نـزف الملَـكْ في صـورة الإنسـانْ
يجلـو ظـلامَ الحلَـكْ ويقشـع الأحـزانْ
فهـل لديكـم فلَـكْ بنـوره يـزدان !؟

الجمهور : نحـن نـزف الشمسـا ... ... ... ... ...
... ... ... ... ... ... ... ...

القينات : يـا قمـر السـماء غُـضِ الجفـونَ أغـضِ
بـالذكر والأسمـاء عـوذتُ بـدر الأرضِ

الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ... ... ... ...
... ... ... ... ... ... ... ...

**( يقتربون من بيت همام )**

القينات : سُـقْنَ إلى همـام جمـالَ هـذا النادي
واحـدونَ للضرغـام لبـاةَ هـذا الـوادي

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ... ... ... ...
... ... ... ... ... ... ... ...

**في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار النسوة اللاتي زففن « حسنًا » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ، ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن بالدفوف .**

القينات : اليُمْن والإقبال والسعد والسعادهْ
للمُعْرِسين فال والفضل والزيادهْ

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نزف الحُسنا نحن نزف بلقَيس !

ثم سائرهن : نحن نزف لُبنى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار مجيبة : همامنا كالمأمون إن زففتم بوران

**ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها**

وإن تكُن بلقيسًا فإنه سليمان !!

نسوة الزفاف : النصر للعروسة !

نسوة الدار : بل هو للعروس !

نسوة الزفاف : للدرَّة النفيسهْ

نسوة الدار : للجوهر النفيس !

نسوة الزفاف : للحُرّةِ المصونة وربة الجمال
للدرَّة المكنونة واسطة اللآلي !

نسوة الدار : لمفْخَر المدينهْ لسيد الرجال

نسوة الزفاف : الناس يعرفونه بكرَم الخِلال

نسوة الزفاف : النور والشعاعُ ووَهج الشموسِ

| | | |
|---|---|---|
| | والجوهر اللمَّاع | وحَبَب الكؤوس |
| | جميعها أشياع | لهذه العروس |
| نسوة الدار | : المجد والكمالُ | وكرم الأخلاقِ |
| | والقولُ والفعالُ | وحسَبُ الأعراقِ |
| | جميعهن آلُ | عروسنا الغيداق ! |
| نسوة الزفاف | : نحن نزف الحسنا | نحن نزف بلقيسْ |
| | نحن نزف لُبنى | فهل لديكم من قيس ؟ |
| نسوة الدار | : همامنا كالمأمون | إن زففتم بورانْ |
| | وإن تكن بلقيسًا | فإنه سليمان |
| القينات | : كلا العروسين زيْنْ | للمجد والعلاءِ |
| | فلا تفاضلن بيْنْ | سراجي السماءِ |
| | أين المجرةُ أينْ | كواكب الجوزاءِ |
| | أصوغهنّ لذينْ | تاجَين بالسواء |
| القينات ثم الجميع | : يا رب باركهما | في ذا الزواج السعيد |
| | واجعل زمانهما | كأنه يوم عيد |
| | وانفحهما بالوُلْد | مثل دراري النجوم |
| | في ظل عيش رَغْدْ | وفي صفاءٍ يدوم |

( ستار )

# الفصـــــل الخامـــس

## المشهـــــد الأول

**علويــة : ( على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها ) .**

علوية : عُدتِني حُسن؟ مرحبًا بـك يـا أخـ ـــتُ !
حسن : وقاكِ الإلـــه مـا تحذرينـا !
ما الذي تشتكين ؟ نفســي فـداءٌ لـك مـن كـل علـة تشـتكينا !
علوية : أقصري حُسنُ أن تمنّيْ على ربـكِ ســــوءًا لعلـــه أن يكونـــا
بل سلى ا الله لي الشفاء عسى أن يقبـلَ الله منـكِ مـا تسـألينا
أو سـليه ليَ العـــزاء فـــإني لا أرى الـداء تـاركي أو أبينـا
حسنُ ! إني أُحِسّ في الصدر نـارًا تتلظّـــى كـــأنّ فيـــه أتونـــا !
أشرب الكأس بعد أخرى من الما ء فـلا أرتـوي كمـا ترتوينـــا
أحسِب الماء يسـتحيل بجـوفي لهبًـــا في الحشـــى يئـــن أنينـــا
أنـــا لا أسـتطيع أن أدَع المــا ء ، ولا المـاء قـادر أن يُعينـا !
حسن : لا تخافي سوءًا فمثلُكِ في العفّـ ـــة والنبـل مـا نمـــى الوالدونـا
تبذلين المعروف جهـدك للنـا س ، وتولـين منهـم المسـكينا
وتراعـــين للجـــوار حقوقًـــا وتواســـين بائسًـــا وحزينـــا
وتوالين من يحامي عن الحـق وإن غـــاظ فعلـــك الأهلينـــا
فإله الـورى سـيرعاكِ ، لن يتـ ـــرك يومًا عبـــاده المحســـنينا

علوية : قدْكِ ؛ هذا جميلُ ظنك في أخـــ ـــتكِ ، لا خيّب الإلـه الظنونـا
إن ربـــي بخَلقــه للطيــفٌ يتـــولى عبـــاده الصالحينـــا
غــير أن العبــاد بعضهــم يظـــ ـــلم بعضًــا ، عـن ربهـم ساهونا
أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي لي وأبنــاء عمـــي الأقربينـــا ؟
وتصدّيهــم لمــا ليــس يعنيـــ ـــهم ، وعن واجباتهم يعرضونـا
مات زوجـي ووالـدي فلم يُبق لي الدهـــر عـــائلاً أو خدينـــا
غيرَ عمي – وأنت تدرينَ ما عمـ ـــي ؟ فقــيرٌ ينــاهز الســتينا
قد وهَى جسمُه ، وخارت قـواه وابتــلاه الســقام حينًــا فحينـا
ألجــأوه إلى السُّـــفار ليجلـــو عنهـمُ العــارَ ، هكــذا يزعمونـا
زعمـــوا أن بيعـــه وشـــراه يكسوان الأشراف في القطر هونـا
ثم إنـي مكثتُ في عصمـة الأيْـ ـــم وفي رِقْبـة الـزواج سـنينا
لم يجئـني منهـم ليخطُـب ودّي أحـــد غـــير فتيـــة عاجزينـــا
وأبـــي عـــالم وجـــديَ حِـــبرٌ وأصـــولي أئمـــة متقونـــــ
ولعـــل المـــرآة تصـــدق عـــني إن وجهي ما كان في الحسن دو
حسن : بـل تعـالى الـذي بـراكِ ، وحـلاّ كِ جمـــالاً يحـــيِّر الناظرينـــا !
ســـطعت أنـــوار النبـــوّة فيـــه فاســتحالت مباهجًـــا وفتونـــا !
علوية : وأتـاني محمـد وهـو مـن بيـتٍ حسـيب أصـلاً كمـا تعلمينـــا
رجـــل يمـــلأ الصـــدور كمـــالاً وخـــلالاً كمـــا يسـر العيونـــا !
كــان لي كلمـــا تضــايق حـــالي ســاعدًا قبـــل خطبـــتي ومعينـــا
وهو كفئى وكـفء أفضـل مـني حســـبًا أو فضيلـــة أو دينـــا
فـــأتوْا يزجرونـــني عنـــه حينـــا ويســـومونني التهـــدُّدَ حينـــا
مـــا رأوْا لي من قبـــل ذلك دارًا فأتـــوْا بعـــد ذاك يستبقونـــا

ما ثناهم عن خطبتي غير فقري ليس عندي ملمال ما ينشدونا
ذهبوا لابنة الغني وإن لم يك من بيتهم وإن كان دونا
وانبروْا يمنعوننا من سواهم فلمن ويْحَنا إذًا يتركونا ؟
فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! بِمَ أبكي وقد أرقتُ الشئونا ؟
رب ! كن لي وللتعيسات مثلي ليس بين الأنام من ينصفونا

( لا تتمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها )

علوية : مِمّ تبكين حَسنُ ؟

حسن : من أجل بلوا كِ فؤادي أحسبه مطعونا !
تب ذا العيش! لا هوى ليَ في العيـ ش إذا لم تحظَيْ بمن تعشقينا

علوية : أقصري حسن! بل يظل همام بك في غبطة بها تسعدينا

حسن : نحن نحيي وأنتما ؟

علوية : فوقنا اللّـ ـه سيأسو جراحنا ويلينا
فوقنا اللّـه ..

حسن : فوقنا أيضًا اللـ ـه سيأسو جراحنا ويلينا

* * *

## المشهـــــد الثانـــي

**( حسن في غرفتها . همام داخل إليها ) .**

حسن : حبيبـــي ؟
همام : أجـــل مُنيـــتي !
حسن : أمـــا لـــكَ في قبلـــة ؟
تعـــال إلى جـــانبي أمـــا لـــكَ في ضمـــةٍ !
همام : **( يهوى إليها )**
بلـــى يـــا حيـــاةَ الفـــؤا د ، ولبيـــكِ يـــا مهجـــتي !
هبيـــني لمـــاكِ هبيـــنيَ أطفـــئ بـــه غلـــتي !
هلمـــي نطُـــف بالحيـــا ة كـــالنحل بـــالزهرة !
فمـــا في المنـــى مثـــل قبـــ ـــلة الـــزوج للزوجـــة !
ننـــال بهـــا نعمـــة وحســـبكِ مـــن نعمـــةٍ
ونجـــني بهـــا لـــذّة ونـــاهيكِ مـــن لـــذّةِ
وهـــل كنعيـــم يجـــيء مـــن ا لله بالرحمـــة ؟!
حسن : حبيـــبي ! أمـــا لـــك عـــن هـــوى الشعْر مـــن توبـــة ؟!
أبـــي أنـــا وحـــدي نسيـــ ـــبُكَ أم بـــي وبالنســـوة ؟
أرى نَـــبَرات العُمـــو م تعصِـــف بـــالوحدة
همام حبيبـــة قلـــبي ! أقِلّـــي علـــيَّ مـــن الغـــيرةِ
هلـــمَّ ادخلـــي للفـــؤاد وافضِـــي إلى الحبّـــة !
فهـــل تجديـــنَ بهـــا لغـــيركِ مـــن عُلْقـــة ؟

حسن : كـــذا فلتكـــن ليَ في    حيـــاتي وفي موتـــــي
فمـــا في حيـــاتي خشـــيتُ    بـــل بعدهـــا خشـــيتي !
حبيــــبي اغتنـــم ســـاعة    مـــن الصفـــو والبهجـــة !
فقـــد لا تطـــول حيـــا    تـــي ، وتقصـر بـــي مدّتـــي !

همام : دعـــيْ عنـــكِ هـــذا ، وقـــو    لي ســـوى هـــذه الجُملـــةِ
بربـــكِ لا تذكـــري    لنـــا شـــبح الفُرقـــة !
فلـــم نســـترح بعـــد مـــن    متاعبهـــــا الجمّــــــة
ولم نقْـــضِ بعـــض اللّبـــا    نـــةِ مـــن هـــذه اللُّقيَـــةِ
حبيـــــبيَ لا تَلْحِنِيــــي    واشـــفِق علـــى عَـــبرتي !

حسن : ( تبكي ) أحسُّ كأن الحِما    مَ منّـــي علـــى خُطـــوة !
ويهمـــس لي خـــاطري    بـــأني علـــى رحلـــة !

همام : دعـــي عنـــكِ هـــذي الوســـا    وسَ ، جســـمُكِ في صحـــة
ووجهـــكِ هـــذا الجميـــ    ــــل ينبُـــع بـــالنّضرة
وســـوف تجوزيـــن عُمـــ    ـــرَ جـــدّكِ والجـــدّة

حسن : سَـــلِمْتَ حبيـــبيَ لي !

همام :    ولي أنـــتِ يـــا بُنْيـــتي !

حسن : لقـــد زال عنّـــي الـــذي    شـــعرت مـــن الخيفـــة
وذابـــتْ همومـــيَ مِنْـــ    ـــك في كوثـــر الجنّـــة

همام : فديتُـــك ! حُسْـــنٌ ســـتبقى    ببيـــتيَ كالشـــمعة !
وتـــأذنُ لي بـــالرّحيل    لأمّ القـــرى مكـــةِ
وتدعـــو لي الله أن    يُقصّـــرَ مـــن غيبـــتي
كمـــا تترجّـــاه أن    يحقـــقَ لي طِلبـــتي

حسن : أحجًّا تُريد ؟

همام : أجــــل وشــيئًا مــن القُربــة

لأسـعى هنـاك لتزويـــج خلّـيَ مــن خلّـتي

محمــدُ جِلْـفُ الفــراش ينــوءُ مــن العلّــة

أضــرَّ بـــه اليــأس في هـــواه لِعَلْويَّـــة

وأخشــى عليـــه المنيّــة مــن هــذه الصدمــة

وأخـــبرني أنـــه يمــتُّ إلى العِــترةِ

وأنَّ بـــأم القُـــرى معالـــمَ ذي النِسـبة

فقــد جــاء منهــا أبــوهُ إلى هـــذه البلـــدة

وفتــشَ في النســوة الــشرائف عــن زوجــة

فقــالوا لــه : لانتمــاءك في بيتنــا أثْبَــتِ

فثــارتْ بـــه غضبــةٌ وبــورك في الغضبـــة !

ومــالت بـــه عــزّةٌ وبــورك في العـــزة !

وقــال إذا لم يكُــنْ لــديّ ســوى نِسْبَتِي

فــلا بــارك الله في خــلالي ولا همّـتي !!

وزَوجـــه ذو الجــلال مــن أمـــه الــبرةِ

فعـــاش ســعيد الفــؤاد بهــا هــانئَ العُشــرة

كــذا عــن أبــي أمِّــه حكـى مُجمــل القصــة

حسن : همــام ! بيُمــن الإلــه وفي الحفـظ والعصمــة !

يرافقـــــك الله في خُطَـــى هـــذه السَّــفرة

وإنــــي لمســـرورةٌ برعيـــك للصُّحبـــة

ومَـــنْ كمحمــدَ في ولائـــك والذمـــةِ !

بحبّك عطفي عليه　　وحُبّي لِعلْوية

ألم يسعيا قبلُ في　　دخولك في عصمتي ؟

ألم يبذلا الجُهد في　　هنائكَ أو غبطتي

وقد عدتُها أمسِ وهي　　تَقَعْقَعُ بالزفرة !

بِنَفْسٍ تريد الحياة　　على جسدٍ ميّتِ !

تنوح على نفسها　　وتزخر بالحسرة !!

وقد أنفدَت دمعها　　فتبكي بلا دُمْعة !

رثيت لها يا همام !　　وخفْتُ على خلتي

لأني أراها تُشير　　إلى الموت من خُفْية !

فمن أجلها يا هُمام　　شُكوكيَ في صحتي

وإحساسُ قلبي بأني　　قريب من النُّقْلة

ولكن لعلّ الإله　　يكشف من محنتي

سأمضي لتبشيرها　　وتفريجها بالّتي

لعلّ بها أن تكفَّ　　مِن عَلَن اللوعةِ !

* * *

## المشهـــــد الثالـــث

**( محمـد على فـراش المـرض . ليـس عنـده سـوى أمـه العجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخـادم بمكتـوب فيفضـه بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه ) :**

يا حبيبي ! مـني عليـك سـلامٌ　　وسـلام الرحمـن فـوق سـلامي
يـا حبيـبي إن المنيَّـة جـامٌ　　كلنـا شـاربٌ بـذاك الجـام
والسعيد الذي يموت سليمَ الـ　　ـقلبِ عَفَّ الرداء من كـل ذام
فمتـى جـاءكَ النَّعِـيُّ بموتـي　　فـترحم علـى شـهيد الغـرام !
أنا في الـنزع يـا حبيبي فصـبرًا　　لا تَضعضَـع لحـادث الأيـام
ووداعًا! إلى اللقاء! على الكو　　ثر! في الخلد! في جوار السلام!
إن تحلْ بيننا الحيـاةُ ففـي الخلْـ　　ـدِ سنحظى بلقيـةٍ ووئـام
سيرى الحـائلونَ دون الحبيبَـ　　ـين جزآء الإلـه ذي الانتقـام

علويَّة

محمد : **( يتقلب علـى الفراش ذات اليمـين وذات اليسـار بجهـد ومشقة )**

هي في النزع! آهِ ما أعظم الخطـ　　ـب وأقسى على فؤادي الدامـي!
هي في النزع! ربِّ هَون عليهـا!　　حسـبها مـا رأتْ مـن الآلام!
منعوهـا الحيـاة ظلمًـا فـأودَوْا　　بحيـاةٍ بريئـةِ الأحـلام
رب! لاخير في الحيـاة! فألحِقـ　　ـني بهـا واكفِـني عنـاء السَّقام
هي روح الوجود مني وما يُصْـ　　ـنعُ بعد الأرواح بالأجسـام ؟

أكـذا نـتركُ الوجـود و لم نحـــــظَ بوصل ، و لم نفُــز بمـرام ؟!
أكـذا يُرفـــع البســـاط ومـــا دا رَتْ على العاشقِين كـأس مـدام ؟

( يحاول أن ينحرف إلى جنبه فلا يستطيع من الضعف والإعياء )

رب مـاذا أحِسُّ ؟ هـذا فتـــور عجَب في مفـاصلي وعظـامي !
خار جسمي فما أطيق حراكًـا! وتنـــاهت بُـــرودة الأقـــدام
مـا لرأسي أضحى عليَّ ثقيـلاً وجفونـــي يُغْريــــنَني بالمنـــام !
ويدي لا تطيق حمل سِـواكي ! ولســاني تعـــثرت بـــالكلام !
وفـــؤادي دقاتـــه تتـــوالى علَّ هـذا نذيرُ قــرب الحِمـــام

( يتذكر صديقه همامًا )

أيـن ولّـى همـامُ ؟ يـا ليتـه عنـــــدي أراه في مُنتهـى أيـامي !!
نضـر ا لله وجهـه مـــن صديـــق مخلص لي على مـدى الأعـوام
كم هداني من الضلال، وكـم عبّــــد سُبْل الحيـــاة مـــن قدّامــي
أمّ صوبَ الحجاز في لفحة الصيــــف حريصًا على قضاء مرامي
ليـس يـدري أنـي بمدْرَجَـة المـو تِ وأني علـى شـفير الرِّجـام
ومضـى غـيرَ عـالم أن حُسـنًا مُنِيَـــت بعـــده بحُمَّـــى لِـــزَام
ليت شعري إن جاء نعيي همامًا ثـم مـاذا تكـون حـال همــام ؟
أو أصيبت ـ لا قدر ا لله ـ حسـنٌ فهـي أدهــى فجـائع الأيـامِ !
وهـــو في غُربــةٍ وليـس لديـــه مـن يهـدِّي فـؤاده المـترامي !
سُـنَّ يـا رب بالشِّـفاء عليهـــا لا تذَرْهـــا رَمِيَّـــةً للســـهام

* * *

إن مِن خلفها فتًى ينصــر الحق جهــارًا وعن هــداك يحامـــي

شعَّ من هديه على القُطْر نور    فإذا مات عاد للإظلام
واستعاد الجمودُ سلطانه الضخـ    ـمَ ، وعزَّت سواعد الأوهام
هي سُلوانه الوحيد من الدنـ    ـيا إذا ضاق بالخطوب العظام
عَوْنُه إن جنى الجهاد عليه    وأراه تنكُّر الأقوام

( يمسك بيديه على أضلاعه )

يا فؤادي دنا الخلاص! فصبرًا    سوف تسلو هذي الجراح الدوامي!
وستلقى الحبيب في ربوة الخلـ    ـد يحييك ثغره بابتسام !
وسأغدو إلى الإله فيعفو    عن ذنوبي وسالف الآثام
وسأشكو إليه من رَزَأوني    ـ في ربيع الحياة ـ في أحلامي
وأراقوا دمي البريء ، وضحَّوْا    بحبيبي في مذبح الأوهام !
تخذوا الدين جُنَّةً يتوقَّوْ    ن بها في الورى سهام الملام
فسيدرون أنني عَلَويٌّ    تنتهي نسبتي لخير الأنام
غير أن الحِمام أهون عندي    من فخاري بالجد والأعمام
وادِّعائي به على الناس فضلاً    يتقاضاهُمُ رسوم احترامي !
عَزَّ دين الإسلام ! قد جعل النا    س سواء في شرعه المتسامي
لم يدع ميزة لزيد على عمـ    ـرو ، ولا حارث على هَمَّام

( يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترنو إليه في ذهول وتتحادر دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى )

إصبري يا أماه ! فا لله أبقى    لك مني ومن جميع الأنام !

( يصوب نظره إلى السماء )

رب رفقًا بقلبهـا المتشـظي !   وحنـانيك بـالدموع الهوامـي !
كن لها إن أتت ضحىً بطعامي   فتنـادي وليس رب الطعـام !
كن لها إن أتت سريرى لإيقا   ظي ؛ فترتد عنه والقلب دام !

**( تنحدر من عينيه دمعتـان كبيرتـان ويدخـل في دور الاحتضار الأخير )**

**( بصوت متقطع )**

رب! من ذا أرى ؟ ملائكة المو   ت ؟ ألا مرحبًا بوفـد السـلام !
رب! إني آمنت أنك أنـت اللّـ   ـه رب الجـلال والإكـرام
ونبيـي محمـد سـيد السـا   دات طـه إمـام كـل إمـام
كلُّ زادي إليك خـالصُ توحيـ   ـدي فَهَب لي يا رب حسن الختام

* * *

## المشهــد الرابــع

**همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه موزع البريد ويسلم إليه برقية من عدن . يوقعها همام فيخرج الموزع .**

همام : **( بيده البرقية لم يفتحها بعد )**

برقيــة ! مــا شــأنها قــل لي ؟ هل مات لي أحد مــن الأهــل ؟
إنــي أحــس كــأن حادثــة جللا ســتفجعني علــى مَهْــل
يـا بـرق مـاذا أنــت تحمــل لي إنـــي أراك تَنــوء بـــالثقل !
قلـــبي يحدثـــني ؛ ولم أره يومــا يحدثنــى علــى جهــل

**( يفتح البرقية ويجيل نظره فيها بسرعة )**

مــاذا ؟ أماتــوا ؟ أماتــتِ حُســنُ ؟ واكبــدي
ربَّاه ..! خــذ بيــدي ! ربَّاه ..! خذ بيــدي !

**( يسقط من مقعده على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران له من الحجاج هدة سقوطه فيفتحان عليه البــاب حيــث يجدانــه**

**ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويرشه على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس ) :**

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى
غير اللقاء ! وواحزْني وواكمدي ؟
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !
كأنما أنا لم أخلَقْ لأشهد مِنْ
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !
اليوم أسكب دمعي غير منقطع
إن غاض دمعي يمدُّه دم الكبد !
يا رب لم يبقَ لي في العيش من أرب
فلَقِّني راحتي في هذه البلد !

**( ينظر مرة ثانية في البرقية )**

أماتت إذًا حسنٌ؟ ومات محمد ... وماتت على أثر السقام فتاته !
ثلاثة أحبابي بيوم فقدتهم! ... فيا لفؤادٍ أُثْخِنت طعناته ؟
يذوب من الشكوى ويدمى من الأسى ... وليس إلى غير الإله شكاته
محمدُ يا خير الأخلاء! والذي ... صفتْ مثلما تصفو المدام صِفاته
حنانيك لا تبعَد! لمن أنت تاركي؟ ... لقاسي زمانٍ أُولعت بي عُداته ؟
ويا ساعِدَ الإصلاح والباسل الذي ... به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أتمضي و لم نهتِك من الجهل سِـتره وما انفضَّ عن صرح الجمود حُماته ؟
أتمضي وفي جنبيـك قلـبٌ معطَّش من الحُب لم تُبْلَلْ بوصـلٍ لهاتـه ؟
أحين ظفرنـا بانتسـابك واضحًا تُغِصُّ به حلقَ الحسـود شجاته ؟
أحـين ظفرنا بانتسابـك واضحًا تكُفُّ به طـرفَ الحسود قذاتـه ؟
وكنت على قاب من الوصل هانئًا تطلَّق عـن غُـرِّ المنـى بسـماته ؟
وأنتِ فتاةَ النُبـل والطُهـر والحجـى تغشتك من رَوْح الرضى نفحاتـه
لضاعفَ من حزني فراقـك أنّـه فـراقٌ بـه لاقـتْ حبيـبي وفاتـه
أراكِ وفـاءً مـا رأى النـاس مثلـه فـدًى لحبيـب بالوفـاء مماتـه
و لم أنسَـهُ لمـا رآكِ مريضـة فجاشت به في مشهدي حسراته؟

**( تنهمر دموعه )**

يقول : كـأني يـا هُمـام سـأنتهي كأن حِمامي قد أقيمت صلاتـه!
فقلت له: دع عنـكَ وهمـكَ، إنَّ ذا محيَّـاك نَضْـر لم تَحُـلْ قَسَـمَاته !
فـأصغى لقـولي واطمـأن فـؤاده وقرّت - على سُحر الردى - رجفاته
ومـا كنـت أدري أنـي أنـا واهـمٌ وأن حبيـبي صـادقٌ كلماتـه !

**( يريـد أحـد الجـارين أن يقيـم همامـا مـن الأرض فيجذبـه صاحبه )**

دَعْــه يُرســل دمعــه    من بكى الشجـو استراح
وإذا مــا كبَــتَ الـــ    ـحُزْنَ في جنبيــه طــاحْ

الجار : ويحــه مــن مُوجَــع    دَمِيَــتْ منــه الجــراح !

صاحبه : مــا عليــه الآن بــأ    س وقــد صــاح ونــاح

همام : حبيبي ! مالي في رثائك مقول    كأن فمي شُكّت برمحٍ لهاته !
رثاؤك في قلبي يهدّ أضالعي    وتدفع في أحنائها ضرباته
ولا يستطيع الشعر وصفًا لهوله    وتقصر عن تصويره خطواته
على أنه الشعر الذي الشعر دونه    سرت في الورى مسرى الضحى بيّناته
وإن قريضًا أنت مصدر وحيه    لتَسجد غُزّاه لـه ومناته !
يميل بعطف الكون قدسيٌّ لحنه    وتعذُب في سمع الدُّنى نغماته
تَقطَّعُ أعناق البلاغـه دونـه    وتُزهَى بـه بين الأنام رواته
تُغَصُّ به حساده وهو سائغ    وأقتلُ ماء للحسود فراته
ولكنه الخطب الذي الخطب دونه    تلقاه قلب لا تلين صَفَاته
ولو غيره أضحى به بعض ثقله    لقامت عليه في المساء نعاته
فها هو ذا قلبي كسيرًا محطمًا    تفيض دمًا ثَجّاجَةً جنباته
لمن أطلب العلْياء بعدك ؟ إنما    حَدَتني إليها من سناك حُداته !
وأين سبيل المجد بعدك ؟ إنما    بنور محياك انجلت ظلماته
فأنت الذي علّمتَ نفسي ركوبه    ولولاك ما ذلّت لها صهواته !
ولَقنتها حُب الهدى وجهاده    ولولاك ما اجتِيزَت لها عقباته
أتمضي وما جفّتْ رياحين عُرسنا    وما برحت بسّامة زهراته ؟
أتمضي ولما يَشْفِ قلبي أوامه    وما شقّقت أكمامها صبواته ؟
سلام على قَبْر الحبيب ورحمة    وغيث رضى ما تنتهي قطراته

لئن كان أنسي في الحياة لقاؤه فانسي وهمي بعده ذكرياته!!
كأني بالثغر الجميل على فمي ترف به في نشوةٍ قُبلاته !
كأنّي بالفرع الجميل بمنكبي تداعبني في عَرْفها خُصُلاته !
كأنيْ بيمناه تجول بمفرقي فتلثمها في نشوةٍ شعراته !
لئن حالت الأيام بيني وبينه وقُدِّر للشمل الجميع شتاته
ففي جنة المأوى غدًا سوف نلتقي بفضل كريم لا تُحَد هباته
وإن عزاء القلب إيمانه به وقد فارقته في الحياة حياته

**( ينهض فجأة )**

خذوني خذوني إلى المسجدِ خذوني إلى الحجر الأسود !
خذوني إلى زمزم علها تُبرد من جوفي المُوقَد !
خذوني لأستارِ بيت الإلـ ـه أشُدَّ بها في ابتهالٍ يدي
دعونيَ أذهب إلى خالقي دعونيَ أذهب إلى سيدي !
دعوني أحطْ على بابه ثِقال الدموع وأستنفِد
فإن أحيَ على لُطفه وإن يأتني الموت أُستشْهَد

**( يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جاراه . يقصد زمزم فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف تجاه الملتزم ويتعلق بستر البيت :**

الحمد لله اطمأنَّ قلبي ! هأنذا بين يَمِينَيْ ربي ؟
إن عظُمت مصيبتي وخطبي فالله يرعانيَ وهو حسبي !

* * *

يـا رب أنـت الواحـد القهـار  وأنـت ذو الرحمـة والجبّـار
تفجّـرت مـن نـورك الأنـوار  وقَصُرت عـن كنهـك الأفكـار

* * *

يـا رب لا نقـض لمـا أبرمْتَـا !  فَرَضِّـني ربّ بمـا حكمْتـا
لعلـني أجهـل مـا عَلِمْتـا  مـن صـالح لي في الـذي أقمتـا

* * *

يـارب ألهمـني العـزاء الشـافي !  واضمِد جروحي منك بالألطـاف
وآتِـني عزائـم الأسـلاف  فـأنت لي الكـافي ونعـم الكـافي

* * *

وأولـني مُنـاي في الداريْـن  و( حُسنًا ) اجمـع بينهـا وبيـني
في دار خلْـد بـين جنتيْـن  أقْـررْ بـذاك عينهـا وعيـني

* *

يـا رب وارفـع ( أمّـة الإسـلام )  واقـذِفْ بهـا إلى المقـام السـامي
حتـى تُـرى خفّاقـة الأعـلام  علـى جميـع الكـون بالسـلام

* * *

ووحّد ( العُرْب ) ، فإن الوحده تحيـــي لهـــا ماضِيَهـــا وعهـــدَه
تعيـد بعـــد الانـــدرَاس مجـــدَه وا الله لا يُخلـــف يومًـــا وعـــده

* * *

وانظر إلى ( الأحقاف ) بالرعايـهْ وأولِهـــا بفضلـــك العنايـــهْ
بـــالعلم والأخـــلاق والهدايـــهْ فَجَـــلٍّ عنهـــا الجهـــل والعَمَايـــهْ

* * *

وصـــل يـــا رب علـــى المختـــار خـــير الأنـــام ســـيد الأبـــرار
وآلـــه وصحبـــه الأطهـــار مـــا طلعت كواكـــب الأســـحار

* * *

هذا وقوفي خاشعًا بـين يديـك ! وتائبًـــا مـــن كـــل آثـــامي إليـــك
متّكـلا في كـل أحـوالي عليـك لبّيـــك يـــا رب الجـــلال لبّيـــك !

* * *

## ( ســـتار الختـــام )

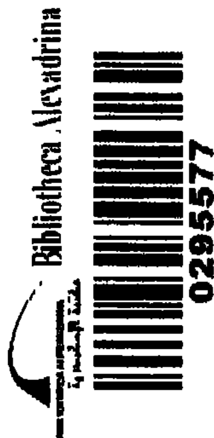
# للمــؤلف

١ ــ هُمام أو في بلاد الأحقاف
٢ ــ أخناتون ونفرتيتي
٣ ــ سلامة القس
٤ ــ واإسلاماه
٥ ــ قصر الهودج
٦ ــ الفرعون الموعود
٧ ــ شيلوك الجديد
٨ ــ عودة الفردوس
٩ ــ روميو وجوليت ( مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل )
١٠ ــ سر الحاكم بأمر الله
١١ ــ ليلة النهر
١٢ ــ السلسلة والغفران
١٣ ــ الثائر الأحمر
١٤ ــ الدكتور حازم
١٥ ــ أبو دلامة ( مضحك الخليفة )
١٦ ــ مسمار جحا
١٧ ــ مسرح السياسية
١٨ ــ مأساة وأديب
١٩ ــ سر شهر زاد

٢٠ ــ سيرة شجاع
٢١ ــ شعب الله المختار
٢٢ ــ إمبراطورية في المزاد
٢٣ ــ الدنيا فوضى
٢٤ ــ أوزوريس
٢٥ ــ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ( محاضرات )
٢٦ ــ دار ابن لقمان
٢٧ ــ قطط وفيران
٢٨ ــ إله إسرائيل
٢٩ ــ هاروت وماروت
٣٠ ــ الزعيم الأوحد
٣١ ــ جلفدان هانم
٣٢ ــ قاب قوسين
٣٣ ــ الفلاح الفصيح
٣٤ ــ ملحمة عمر ( ١٨ جزءا )
٣٥ ــ حبل الغسيل
٣٦ ــ هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧
الترقيم الدولى : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة




دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٣٠٠ قرش